

العنوان:	النبوات عند ابن حزم من خلال كتابه الفصل في الملل و الأهواء و النحل
المؤلف الرئيسي:	أبونائب، على محمد عبدالله
مؤلفين آخرين:	الفاهم، نصر بن محمد الكيلاني(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2008
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 473
رقم MD:	621043
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية أصول الدين
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	النبوة ، ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، 384-456 هـ، كتاب : الفصل في الملل و الأهواء و النحل، العقيدة الإسلامية ، الملل و النحل
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/621043

للاستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب أسلوب الاستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

أبونائب، على محمد عبدالله، و الفاهم، نصر بن محمد الكيلاني. (2008). النبوات عند بن حزم من خلال كتابه الفصل في الملل و الأهواء و النحل (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة أم درمان الاسلامية، أم درمان. مسترجع من <http://621043/Record/com.mandumah.search/>

إسلوب MLA

أبونائب، على محمد عبدالله، و نصر بن محمد الكيلاني الفاهم. "النبوات عند بن حزم من خلال كتابه الفصل في الملل و الأهواء و النحل" رسالة ماجستير. جامعة أم درمان الاسلامية، أم درمان، 2008. مسترجع من <http://621043/Record/com.mandumah.search/>

قال الألوسي في روح المعاني وهو يتحدث عن النحل : "وبالغ بعضهم فزعم أنها^(١) مكلفة، وفيها وكذا غيرها من الحيوانات أنبياء لهم شرائع خاصة، واستدل عليه بما استدل، والمشهور إكفار من زعم ذلك وقد نص على إكفاره جميع الفقهاء".^(٢)

قال الألوسي في تفسير قوله تعالى: [وإن من أمة إلا خلا فيها نذير]^(٣): "واستدل بعض الناس بهذه الآية مع قوله تعالى : وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم على أن في البهائم وسائر الحيوانات أنبياء أو علماء ينذرون، والاستدلال بذلك باطل لا يكاد نفي بطلانه على أحد حتى على البهائم، ولم نسمع القول بنبوة فرد من البهائم ونحوها إلا عن الشيخ محيي الدين ومن تابعه"^(٤) ثم قال "ورأيت في بعض الكتب أن القول بذلك كفر والعياذ بالله تعالى"^(٥).

الفصل الثاني : الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر وفيه مبحثان:

المبحث الأول : الفرق بين المعجزة والكرامة .

^١ أي: النحل .

^٢ الألوسي : روح المعاني ج ١٩ ، صفحة ١٧٤ .

^٣ سورة فاطر الآية ٢٤ .

^٤ الألوسي : روح المعاني ج ٢٢ ، ص ١٨٨ .

^٥ الألوسي : روح المعاني ج ٢٢ ، ص ١٨٨ .

المبحث الثاني: الفرق بين المعجزة والسحر .

المبحث الأول : الفرق بين المعجزة والكرامة:

لا شك أن هذا المبحث مهم، فقد وقع الخلط لدى المتكلمين قبل العوام في التفريق بين المعجزة والكرامة، بل أنكر بعضهم الكرامات، كالمعتزلة ومن وافقهم، وبعضهم لم يفرق بين المعجزة والكرامة إلا بدعوى النبوة والتحدي فقط من قبل النبي، كما هو الأمر عند الأشاعرة. وحتى يتم تناول هذا الموضوع من جميع الجوانب، قمت بتقسيم هذا المبحث إلى ثلاث مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: معنى المعجزة والكرامة لغة وشرعاً.

المطلب الثاني : مفهوم المعجزة والكرامة عند ابن حزم.

المطلب الثالث:أهم الفروقات بين المعجزة والكرامة .

وسوف أبدأ بتعريف المعجزة والكرامة إن شاء الله تعالى ...

المطلب الأول :معنى المعجزة والكرامة لغة وشرعاً:

١ . تعريف المعجزة لغة:

العجز: هو الضعف، والمعجزة اسم فاعل مأخوذ من العجز . (والهاء للمبالغة) (١) . وهو زوال القدرة عن الإتيان بالشئ من رأي أو تدبير (٢) .

قال في لسان العرب العَجْزُ: "تقيض الحَزم .

ويقال أَعَجَزْتُ فلاناً: إذا أَلْقَيْتَهُ عاجِزاً والمَعْجِزَةُ والمَعْجِزَةُ العَجْزُ قال سيبويه: هو المَعْجِزُ والمَعْجِزُ بالكسر على النادر والفتح على القياس؛ لأنه مصدر، والعَجْزُ: الضعف تقول عَجَزْتُ عن كذا أَعْجِزُ.

وقوله تعالى في سورة سبأ [والذين سَعَوْا في آياتنا مُعَاجِزِينَ] (٣) قال الزجاج: معناه ظانين أنهم يُعْجِزُونَنَا؛ لأنهم ظنوا أنهم لا يُبْعَثُونَ، وأنه لا جنة ولا نار، وقيل في التفسير: مُعَاجِزِينَ: معاندين وهو راجع إلى الأول، وقرئت مُعْجِزِينَ وتأويلها أنهم يُعْجِزُونَ من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم وَيُثَبِّطُونَهُمْ عنه وعن الإيمان بالآيات وقد أَعْجَزَهُمْ" (٤).

٢ . تعريف المعجزة اصطلاحاً:

قال في التعريفات: "المعجزة أمر خارق للعادة داع إلى الخير والسعادة مقرون بدعوى النبوة قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله" (٥).

وقال في التعاريف: "المعجزة أمر خارق للعادة يدعو إلى الخير والسعادة مقرون بدعوى النبوة قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله" (٦).

١ انظر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ج ١، ص ٦٦٢ .

٢ انظر د. عمر سليمان الأشقر، الرسل والرسالات، مكتبة الفلاح، الكويت، ط ٢، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م، ص ١٢١ .

٣ سورة سبأ الآية ٥ .

٤ محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري: لسان العرب دار صادر، بيروت، ط ١، ج ٥، ص ٣٦٩، ٣٧٠ .

٥ علي بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ، ج ١، ص

وقال السيوطي في الإِتقان: "اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة وهي إما حسية وإما عقلية، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم؛ ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية، ليراها ذوو البصائر." (٢).

وعرفها الحميضي بأنها "أمر يجريه الله على يد النبي على وجه الطلب أو الابتداء، يكون خارقاً لقوانين الطبيعة وخواص المادة، ومجرداً عن الأسباب والمسببات المعتادة على وجه يفوق طاقات العباد، ويتحدى به النبي قومه فلا يستطيع أحد معارضته بمثله على الوجه الذي تحداهم به" (٣).

قلت : ولعل التعريف الأخير هو من أجمع التعريفات وأشملها للمعجزة؛ لأنه يشمل المعجزات التي طلبت من النبي صلوات الله وسلامه عليه ، والمعجزات التي جرت على يديه وهو بحضرة من آمن به ولم يطالب بها .

٣. تعريف الكرامة لغة:

قال في لسان العرب: "والكَرِيم: من صفات الله وأسمائه وهو الكثير الخير الجَوَادُ الْمُعْطِي الذي لَا يَنْقُذُ عَطَاؤُهُ وهو الكريم المطلق.

والكَرِيم: الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل .

١ محمد عبد الرؤوف المناوي : التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الدايدة، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر، بيروت ، دمشق ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، ج ١ ، ص ٦٦٥ .

٢ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : الإِتقان في علوم القرآن ، ج ٢ ، ص ٣١١ .

٣ د.إحسان عبد الغفار مرزا : آية صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م ، ص ١٨ .

والكريم: اسم جامع لكل ما يُحْمَدُ فالله عز وجل كريم حميد الفِعال" (١).

ثم قال : "الكَرَم: نقيض اللُّؤْم" (٢).

والاسم منه كرامة (٣).

قال في التعاريف: "الكرامة اسم للإكرام وهو إيصال الشيء الكريم أي النفيس إلى المكرم" (٤).

فالكرامة بالمعنى اللغوي من الأسماء الجامعة تطلق كل على إنعام عظيم حسي أو معنوي ، وهي ضد الإهانة.

وخير الإكرام ما كان من الله عز وجل.

قال في تاج العروس: "والكرم لا يقال إلا في المحاسن الكبيرة كإنفاق مال في تجهيز غزاة، وتحمل حمالة يوقى بها دم قوم، وقيل الكرم: إفادة ما ينبغي لا لغرض، فمن وهب المال لجلب نفع أو دفع ضرر أو خلاص من ذم، فليس بكريم" (٥).

٤ . تعريف الكرامة اصطلاحاً:

١ محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري: لسان العرب ج ١٢ ، ص ٥١٠ .

٢ محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري: لسان العرب ج ١٢ ، ص ٥١٠ .

٣ انظر محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي : مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ١٤١٥ ،

١٩٩٥ م ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .

٤ محمد عبد الرؤوف المناوي : التوقيف على مهمات التعاريف، التعاريف، ج ١، ص ٦٠١ .

٥ محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس دار الهداية، تحقيق: مجموعة من

المحققين، ج ٣٣ ، ص ٣٣٥ .

يقول الجرجاني في التعريفات: "الكرامة هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً، وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة"^(١).

يقول شيخ الإسلام بن تيمية: "كثير من أهل الكلام لا يسمي معجزاً إلا ما كان للأنبياء فقط، وما كان للأولياء إن أثبت لهم خرق عادة سماها كرامة، والسلف كأحمد وغيره كانوا يسمون هذا وهذا معجزاً، ويقولون لخوارق الأولياء إنها معجزات إذا لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك، بخلاف ما كان آية وبرهاناً على نبوة النبي فإن هذا يجب اختصاصه، وقد يسمون الكرامات آيات لكونها تدل على نبوة من اتبعه الولي، فإن الدليل مستلزم للمدلول يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول، فكذلك ما كان آية وبرهاناً وهو الدليل والعلم على نبوة النبي يمتنع أن يكون لغير النبي"^(٢).

فالكرامة لم ينعم الله بها على الولي إلا نتيجة لإتباعه للنبي، فهي دالة على نبوة من اتبعه الولي، كما وضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كلامه السابق. وتحصل بالكرامات فوائد دينية ودنيوية. فالفوائد الدينية إذا حصل بالكرامة فائدة في الدين من الأمور المطلوبة شرعاً إما واجب وإما مستحب، والفوائد الدنيوية إن حصل بالكرامة أمر مباح^(٣). وكل ذلك يستوجب الشكر. وينبغي للولي أن يتجه إلى لزوم الاستقامة لأنها هي الغاية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وإنما غاية الكرامة لزوم

^١ علي بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات ج ١، ص ٢٣٥. وانظر محمد عبد الرؤوف المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف،

التعاريف، ج ١، ص ٦٠١، ٦٠٢.

^٢ ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٥، ٤١٩.

^٣ انظر ابن تيمية: النبوات ص ٢٦٦، ٢٦٧.

الاستقامة فلم يكرم الله عبداً بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه ويزيده مما يقربه إليه ويرفع به درجته" (۱).

^۱ ابن تیمیة : مجموع الفتاوى، ج ۱۱، ص ۲۹۸.

المطلب الثاني : مفهوم المعجزة والكرامة لدى ابن حزم

ذكرنا في الفصل الأول من هذا البحث من حجج بن حزم في إثبات النبوات، إثباتها عن طريق المعجزات بما يغني عن إعادته ههنا . لكن نشير إلى ما لا غنى عنه ههنا. فلقد استدل بن حزم ببعض المعجزات التي فيها إحالة الأعراض التي هي جوهريات ذاتيات وقلب الأعيان، على وجود

الأنبياء وعلى صدقهم ، فإن من ثبتت له معجزة من مثل قلب العصا حية وحنين الجذع، مع ادعائه النبوة، لا يمكن أن يكون إلا نبياً.

صحيح أن الله تعالى قادر " على إظهار الآيات على أيدي الكذابين المدعين للنبوة، لكنه تعالى لا يفعل، كما لا يفعل ما لا يريد أن يفعله من سائر ما هو قادر عليه" (١)، وهكذا بهذه الجمل الوجيزة يحسم الإمام ابن حزم النزاع بينه وبين الذين يدعون أن الولي وكذا الساحر يقدر على مثل آيات الأنبياء. ويذكر البرهان على ذلك وهو قوله عز وجل :[وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته] (٢)

وقوله عز وجل: [وعلم آدم الأسماء كلها] (٣)

وقوله تعالى: [إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون] (٤).

موضحاً رحمه الله أن الله قد رتب كل ما في العالم الترتيب الذي لا يتبدل، وأوقع كل اسم على مسماه، فلا يجوز أن يوقع اسم من تلك الأسماء على غير مسماه الذي أوقعه الله تعالى عليه؛ لأن حصول ذلك هو تبديل لكلمات الله تعالى التي أبطل عز وجل أن تبدل. وعليه فلا يتبدل شيء مما قد رتبه الله قطعاً إلا ما قام البرهان على تبدله، وليس ذلك إلا على أحد وجهين: إما استحالة معهودة جارية على رتبة واحدة وعلى ما بنى الله تعالى عليه العالم من استحالة المنى حيوانا، والنوى والبذور نباتا، وسائر الإستحالات المعهودات، وإما إستحالة ما لم تعهد قط ولا بنى الله تعالى العالم عليها،

١ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ٩٩ .

٢ سورة الأنعام الآية ١١٥ .

٣ سورة البقرة الآية ٣١ .

٤ سورة يس الآية ٨٢ .

كالاستحالات غير المعهودة والتي حصلت من الأنبياء المتمثلة في المعجزات التي أيدهم الله بها، الدالة على صحة نبوتهم، فهذه يجب الإقرار بها ، لمشاهدتها من الأنبياء، وتواتر الخبر الموجب للعلم الضروري بها^(١).

قال: "وبقي ما عدا أمر الأنبياء عليهم السلام على الإمتناع، فلا يجوز ألْبَتة وجود ذلك لا من ساحر ولا من صالح بوجه من الوجوه؛ لأنه لم يَقم برهان بوجود ذلك ولا صح به نقل، وهو ممتنع في العقل كما قدمنا، ولو كان ذلك ممكنا لاستوى الممتنع والممكن والواجب، وبطلت الحقائق كلها"^(٢).

١ . هل يشترط في المعجزة التحدي؟

يرى ابن حزم أن معجزات الأنبياء ثابتة ولا يشترط في المعجزة التحدي^(٣).

و قول ابن حزم لا يشترط في المعجزة التحدي صحيح. وقد ذكر خمسة وجوه في الرد على من اشترط في المعجزة التحدي:

الوجه الأول: أن اشتراط التحدي في كون آية النبي آية، دعوى كاذبة سخيفة لا دليل على صحتها لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا سقيمة ولا من إجماع ولا من قول صاحب ولا من حجة عقل^(٤).

الوجه الثاني: "أنه لو كان ما قالوا لسقطت أكثر آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم كنبعان الماء من بين أصابعه وحنين الجذع وسائر معجزاته

^١ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٠٠ .

^٢ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٠٠ .

^٣ انظر أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٠٥ .

^٤ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٠٥ .

العظام^(١)؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يتحد بتلك المعجزات أحد ولا عملها إلا بحضرة أهل اليقين من أصحابه رضي الله عنهم^(٢).

بل يصرح ابن حزم رحمه الله تعالى بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتحد إلا بالقرآن، ودعاء اليهود إلى تمنى الموت، وشق القمر^(٣).

قال ابن حزم رحمه الله تعالى: "وكفى نحساً بقول أدى إلى مثل هذا فإن ادعوا أنه عليه السلام تحدى بها من حضر وغاب كذبوا واخترعوا هذه الدعوى؛ لأنه لم يأت في شيء من تلك الأخبار أنه تحدى بها أحداً، وإن تبادوا على أن كل هذه ليست معجزات ولا آيات أكذبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله إذ فعل ذلك أشهد أني رسول الله^(٤)".

والثالث: مما يدل على إبطال شرط التحدي أنه متى ما ظهرت الآية فهي آية، ولا عبرة بالتحدي ألبتة؛ لأن الله تعالى يقول: {وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون}^(٥) وكذلك يقول: {وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون}^(٦).

قال ابن حزم: "فسمى الله تعالى تلك المعجزات المطلوبة من الأنبياء عليهم السلام آيات ولم يشترط عز وجل في ذلك تحدياً من غيره^(٧)".

^١ و التي منها أيضاً: إطعامه المئين والعشرات من صاع شعير وعناق ومرة أخرى من كسر ملفوفة في خمار وكتفله في العين فجاشت بماء غزير إلى اليوم وحنين الجذع وتكليم الذراع وشكوى البعير والذئب والإخبار بالغيوب وغيرها.

^٢ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٠٥.

^٣ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٠٥.

^٤ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٠٥.

^٥ انظر أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٠٥.

^٦ سورة الأنعام الآية ١٠٩.

^٧ سورة الإسراء الآية ٥٩.

والرابع: "أنه لو صح حكم التحدي لكان حجة عليهم؛ لأن التحدي عندهم يوجب أن لا يقدر على مثل ذلك أحد، إذ لو أمكن أن يوجد مثل ذلك من أحد لكان قد بطل من المتحدي وهو النبي صلى الله عليه وسلم تحديه، وقيل له: قد وجد من يعمل مثل عملك هذا إما صالح وإما ساحر" (١).

والخامس: "أنه لو كان ما قالوا صحيحاً، وجاز ظهور معجزة من ساحر لا يتحدى بها، أو فاضل لا يتحدى بها، لأمكن أن يتحدى لهما بتلك المعجزة بعد موتهما من ضل فيهما، كما فعلت الغلاة بعلي رضي الله عنه" (٢).

قلت: ولقد أبدع ابن حزم وأجاد بهذه الوجوه والتي فيها الرد الكافي بإبطال شرط التحدي في المعجزة.

كذلك أصاب في قوله: إن قلب الأعيان كأن ينقلب الإنسان حماراً أو قرداً، أو العصا حية حقيقية، هذا النوع من معجزات الأنبياء فوق مقدور الثقلين، الإنس والجن، ولا يقدر عليها إلا الله. هذا هو الحق الذي لا مرية فيه كما وضحه ابن حزم تماماً. لكن نقول: إن كرامات الأولياء ثابتة وهي من معجزات الأنبياء فهل يرى ابن حزم ذلك دعونا نسبر أقواله في ذلك.

٢ . هل يثبت ابن حزم كرامات الأولياء ؟

يقول ابن حزم: "وكذلك ما ذكرنا عن ليس نبيا من قلب عين أو إحالة طبيعة، فهو كذب إلا ما وجد من ذلك في عصر نبي، فإنه آية كذلك لذلك الشيء ،وذلك الذي ظهرت عليه آية بمنزلة الجذع الذي ظهرت فيه الحنين، والذراع الذي ظهر فيه النطق، والعصا التي ظهرت فيها الحياة، وسواء كان

١ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٠٦ .

٢ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٠٦ .

الذي ظهرت فيه الآية صالحا أو فاسقا، وذلك كنعو النور الذي ظهر في سوط عمر بن حممة الدوسي، وبرهان ذلك أنه لم يظهر فيه بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم" (١).

ثم يقول: "فإن قيل إذا أجزتم أن تظهر المعجزة في غير نبي في عصر نبي لتكون آية لذلك النبي، فهلا أجزتموه كذلك بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لتكون آية له أيضا ولا فرق بين الأمرين. قلنا: إنما أجزنا ذلك الشيء في الجماد وسائر الحيوان وفيمن شاء الله تعالى إظهار ذلك فيه من الناس لا نخص بذلك فاضلا لفضله، ولا نمنع فاسق لفسقه أو كافر، وإنما ننكر على من خص بذلك الفاضل فجعلها كرامة له، فلو جاز ذلك بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لأشكل الأمر، ولم تكن في أمن من دعوى من ادعى أنها آية لذلك الفاضل ولذلك الفاسق، والإنسان من الناس يدعيها آية له، ولو كان ذلك لكان إشكالا في الدين، وتلبيسا من الله تعالى على جميع عباده أولهم عن آخرهم" (٢).

فتبين بهذا أن ابن حزم يجعل كرامات الصحابة رضوان الله عليهم هي عين معجزات النبي صلى الله عليه وسلم . ويجعل الصحابي الذي ظهرت عليه الكرامة بمنزلة الجذع الذي ظهر فيه الحنين . وأما كرامات من بعد الصحابة فإنه ينكرها تماما، بحجة أنه لو جاز ذلك بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لأشكل الأمر، ولم تكن في أمن من دعوى من ادعى أنها آية لذلك الفاضل، بخلاف ما لو ظهرت الكرامة من الفاضل في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فإنها تكون حينئذ من قبل النبي صلى الله عليه وسلم

١ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٠٧ .

٢ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٠٧ .

وبإخباره وإنذاره، فبدت بذلك أنها له، لا للذي ظهرت منه" (١) وهذا القول منه في غاية الغرابة. وأصرح من ذلك كله قوله: "فلو جاز ظهور المعجزة على غير نبي على سبيل الكرامة، لوجب القطع على ما في قلبه وأنه ولي الله تعالى، وهذا لا يعلم من أحد بعد الصحابة رضي الله عنهم الذين ورد فيهم النص" (٢).

بل يذهب في إنكار كرامات الأولياء أبعد من ذلك حين يقول: "وأما الذي روى في الثلاثة أصحاب الغار، وانفراج الصخرة ثلثا ثلثا عند ما ذكروا من أعمالهم، فلا تعلق لهم به؛ لأن تكسير الصخرة ممكن في كل وقت، ولكل واحد بلا إعجاز، وما كان هكذا فجاز وقوعه بالدعاء وبغير الدعاء، لكن وقع وفاقا لتمنيه كمن دعا في موت عدوه، أو تفريج همه، أو بلوغ أمنيته في دنياه، ولقد حدثني حكم بن منذر بن سعيد، أن أباه رحمه الله كان في جماعة في سفرة في صحراء فعطشوا وأيقنوا بالهلكة، ونزلوا في ظل جبل ينتظرون الموت. قال: فأسندت رأسي إلى حجر ناتئ فتأذيت به فقلعته فاندفع الماء العذب من تحته، فشرينا وتزودنا، ومثل هذا كثير مما يفرج، وحتى لو كانت معجزة لوجب بلا شك أن يكونوا أنبياء أو لنبي ممن في زمن نبي، ولا بد مما قدمناه" (٣).

قلت: ولقد تعجبت من هذا القول من بن حزم عندما قرأته للمرة الأولى، لكن لا غرو أن يدعي بن حزم النبوة لأصحاب الغار الثلاثة، وذلك لأنه يزعم بأن العادة لا تخرق إلا لنبي.

١ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٠٧.

٢ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٠٩.

٣ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٠٨.

قال ابن تيمية في بداية كتابه النبوات: "فقلت طائفة لا تخرق العادة إلا لنبي، وكذبوا بما يذكر من خوارق السحرة والكهان، وبكرامات الصالحين، وهذه طريقة أكثر المعتزلة وغيرهم، كأبي محمد بن حزم وغيره"^(١).

قال ابن تيمية في الرد عليهم: "وهكذا الأولياء إنما خرقت لهم لمتابعتهم الرسول، فكما أن ما تقدمه هو من معجزاته فكذلك ما تأخر عنه"^(٢).

ثم قال: "والمنازع لهم يقول هي موجودة مشهودة لمن شهدها، متواترة عند كثير من الناس أعظم مما تواترت عندهم بعض معجزات الأنبياء، وقد شهدها خلق كثير لم يشهدوا معجزات الأنبياء، فكيف يكذبون بما شهدوه ويصدقون بما غاب عنهم ويكذبون بما تواتر عندهم أعظم مما تواتر غيره؟"^(٣).

وهذا القول الأخير من ابن تيمية ، قول قوي، وفيه الرد على الإمام ابن حزم وغيره ممن ينكر الكرامات، فإن الكرامات مشاهدة في كل عصر باقية ما بقي الدهر، وقد وقعت كرامات كثيرة لصالحي هذه الأمة، وقد حصلت لهم كرامات من جنس ما جرى للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كتكثير الطعام كما حصل لنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم، وكالسلامة من النار بحيث تكون برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم فقد حصل ذلك لأبي مسلم

^١ ابن تيمية : النبوات ، ج ١ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

^٢ ابن تيمية : النبوات ، ج ١ ، ص ١٣٣ .

^٣ ابن تيمية : النبوات ، ج ١ ، ص ١٣٣ .

الخولاني^(١) رضي الله عنه من أمتنا ، و كإحياء ميت بإذن الله لكثير من صالحى هذه الأمة كما حصل لعيسى عليه السلام.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " أما الصالحون الذين يدعون إلى طريق الأنبياء لا يخرجون عنها فتلك خوارقهم من معجزات الأنبياء، فإنهم يقولون نحن إنما حصل لنا هذا باتباع الانبياء، ولو لم نتبعهم لم يحصل لنا هذا.

فهؤلاء إذا قدر أنه جرى على يد أحدهم ما هو من جنس ما جرى للأنبياء، كما صارت النار بردا وسلاما على أبي مسلم، كما صارت على إبراهيم، وكما يكثر الله الطعام والشراب لكثير من الصالحين، كما جرى في بعض المواطن للنبي صلى الله عليه وسلم أو إحياء الله ميتا لبعض الصالحين كما أحياء للأنبياء. فهذه الأمور هي مؤكدة لآيات الأنبياء، وهي أيضاً من معجزاتهم بمنزلة ما تقدمهم من الإرهاس"^(٢).

لكن ههنا أمور ينبغي التنبيه عليها منها:

^١ هو: عبد الله بن ثوب أبو مسلم الخولاني الشامي ، سيد التابعين وزاهد عصره ، ثقة أسلم في أيام النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع به ولكنه لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم حياً ، فدخل المدينة من اليمن في خلافة الصديق رضي الله عنه. تنبأ الأسود بن قيس ذا الحمار في اليمن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إلى أبي مسلم فلما جاء قال: أتشهد أني رسول الله ؟ قال: ما أسمع قال أتشهد أن محمدا رسول الله. قال: نعم. فردد ذلك مرارا فأمر بنار عظيمة فأججت، ثم ألقى فيها أبو مسلم الخولاني فلم تضره، فأمره بالرحيل، فأتى المدينة وقد مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستخلف أبو بكر، فقال عمر لأبي بكر : الحمد لله الذي لم يمّتنى حتى أراني في أمة محمد من فعل به كما فعل بإبراهيم. توفي زمن يزيد بن معاوية. انظر الإمام الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٤ ، ص ٧ - ١٠ ، وانظر أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: تهذيب التهذيب، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ / م ١٩٨٤ ، ج ١٢ ، ص ٢٥٦.

^٢ ابن تيمية: النبوات ج ١ ، ص ١٤١ ، ١٤٢ .

١ . أن الأولياء دون الأنبياء والمرسلين في الفضيلة فلا تبلغ كرامات الأولياء معجزات الأنبياء ألبتة بل كرامات الأولياء دون معجزات الأنبياء يقيناً^(١).

٢ . كرامات الأولياء من جنس معجزات الأنبياء الصغرى ، أما آياتهم الكبرى فلا يشاركونهم فيها^(٢).

٣ . أن هذه الكرامات تحصل للولي نتيجة اتباعه للنبي.

٤ . كرامات الأولياء تدل على صحة دين النبي الذي يتبعه الولي، ولا تدل على عصمة الولي، بل الأولياء غير معصومين بخلاف الأنبياء.

٥ . كرامات الأولياء ليست غاية، وإنما الغاية هي الاستقامة.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين فلا تبلغ كرامات أحد قط مثل معجزات المرسلين كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم ولكنهم قد يشاركونهم في بعضها كما قد يشاركونهم في بعض أعمالهم وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول لا تدل على أن الولي معصوم ولا على أنه تجب طاعته في كل ما يقوله"^(٣).

^١ قال ابن تيمية في النبوات: "ولا يقدر أحد من مكذبي الانبياء أن يأتي بمثل آيات الانبياء وأما مصدقهم فهم معترفون بأن ما يأتون به هو من آيات الانبياء مع أنه لا تصل آيات الاتباع إلى مثل آيات المتبوع مطلقاً، وإن كانوا قد يشاركونه في بعضها كإحياء الموتى وتكثير الطعام والشراب". انظر ابن تيمية: النبوات ج ٢ ، ص ٨٦٥ ، ٨٦٦.

^٢ قال ابن تيمية في كتابه النبوات: "لا ريب أن الله خص الانبياء بخصائص لا توجد لغيرهم. ولا ريب أن من آياتهم ما لا يقدر أن يأتي به غير الأنبياء. بل النبي الواحد له آيات لم يأت بها غيره من الانبياء ، كالعصا واليد لموسى عليه السلام وفرق البحر ، فإن هذا لم يكن لغير موسى، وكانشق القمر، والقرآن، وتفجير الماء من بين الأصابع وغير ذلك من الآيات التي لم تكن لغير محمد من الأنبياء، وكانالناقة التي لصالح عليه السلام، فإن تلك الآية لم يكن مثلها لغيره، وهو خروج ناقة من الأرض .بخلاف إحياء الموتى فإنه اشترك فيه كثير من الأنبياء، بل ومن الصالحين". انظر ابن تيمية النبوات ج ٢ ، ص ٨٢٠ ، ٨٢١ .

^٣ ابن تيمية : النبوات ج ١ / ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

والإمام ابن حزم وإن كان ينكر كرامات الأولياء فإنه لا ينكر الرؤيا الصالحة كما مر علينا في بداية الفصل السابق من هذا البحث^(١) ، وكذلك لا ينكر الدعوات المجابة للصالحين ، شأنه في ذلك شأن المعتزلة وغيرهم ممن ينكر خوارق العادات لغير الأنبياء ، ولذلك فسر ما حصل لأصحاب الغار الثلاثة من انفراج الصخرة لهم، باستجابة الله لدعائهم . وكذلك سائر كرامات الأولياء عنده من باب الدعاء المجاب. يقول ابن تيمية في النبوات: "والذين ذكر عنهم إنكار كرامات الأولياء من المعتزلة وغيرهم كأبي اسحاق الاسفراييني وأبي محمد بن أبي زيد وكما ذكر ذلك أبو محمد ابن حزم لا ينكرون الدعوات المجابة ولا ينكرون الرؤيا الصادقة فإن هذا متفق عليه بين المسلمين"^(٢).

وقال أيضاً في النبوات : "وما ذكره المعتزلة وغيرهم كابن حزم من أن آيات الانبياء مختصة بهم كلام صحيح لكن كرامات الاولياء هي من دلائل النبوة فانها لا توجد إلا لمن اتبع النبي الصادق فصار وجودها كوجود ما أخبر به النبي من الغيب"^(٣).

قلت: وغلط ابن حزم منشؤه أنه لما نظر إلى آيات الأنبياء ورأى أنها هي: "الأدلة والعلامات المستلزمة لصدقهم والدليل لا يكون إلا مستلزماً للمدلول عليه مختصاً به، لا يكون مشتركاً بينه وبين غيره، فإنه يلزم من تحققه تحقق المدلول، وإذا انتفى المدلول انتفى هو"^(٤)، ظن أن دليل النبوة هو الخارق للعادة، فلا يجوز وجوده لغير نبي فأنكر الكرامات.

^١ انظر هذا البحث ص ١٦٩ . ١٧٠ .

^٢ ابن تيمية : النبوات، ج ٢ ، ص ١٠٣٠ ، ١٠٣١ .

^٣ ابن تيمية : النبوات، ج ١ ، ص ٥٠١ ، ٥٠٢ .

^٤ ابن تيمية : النبوات، ج ١ ، ص ٢١٣ .

والصحيح أن خرق العادة لا يختص بالأنبياء وإن كان من أوصاف معجزاتهم . فكما أن المعجزة خارقة للعادة لغير الأنبياء ، كذلك الكرامة خارقة للعادة لغير الأولياء ، مع وجود الفارق في الخارق، وإن حصل الإشتراك في الجنس. ولذلك " فإن أبا مسلم الخولاني وغيره صارت النار عليهم بردا وسلاما، لكن لم تكن مثل نار إبراهيم في عظمتها كما وصفوها، فهو مشارك للخليل في جنس الآية، كما هو مشارك في جنس الإيمان محبة الله وتوحيده، ومعلوم أن الذي امتاز به الخليل من هذا لا

يمثله فيه أبو مسلم وأمثاله" (١)، فنار أبي مسلم الخولاني رضي الله عنه كانت أقل وأصغر، ونار إبراهيم كانت أكبر وأعظم.

ويمكننا بعد هذا أن نضع الفروق بين المعجزة والكرامة.

المطلب الثالث: أهم الفروقات بين المعجزة والكرامة:

١ . المعجزة هي ما يجريه الله على أيدي الرسل والأنبياء من خوارق العادات، بحيث يدل دلالة قاطعة على صدقهم في ما ادعوه من رسالتهم أو نبوتهم. وأما الكرامة فهي ما يجري على أيدي أولياء الله من المؤمنين من خوارق العادات كالعلم والقدرة.

ويشترط في المعجزة أن تكون مقرونة بدعوى النبوة، أما الكرامة فإن دعوى النبوة تنافيها.

١ ابن تيمية : النبوات، ج ٢ ، ص ٨٠٣ ، ٨٠٤ .

ولا يشترط في المعجزة التحدي لكن يمكن القول بأن المعجزة يكون فيها معنى التحدي المنطوق أو المفهوم ، أما الكرامة فإن التحدي قد ينافيها^(١).

٢ . من المعجزات من اختص الله به بعض الأنبياء: كانشقاق القمر، والقرآن، وتفجير الماء من بين الأصابع، وغير ذلك من الآيات التي لم تكن لغير محمد عليه الصلاة والسلام من الأنبياء ، وكالعصا واليد وفرق البحر فإن هذا لم يكن لغير موسى من الأنبياء ، وكاناقة التي خرجت لصالح عليه السلام من الأرض فإنه لم يكن مثلها لغيره من الأنبياء، فإذا كان مثل هذه الآيات الكبرى قد خص الله بها بعض الأنبياء دون بعض، فمن المستحيل أن يكون مثلها أو ما يقاربها للأولياء، وعليه فلا يقع من مثل هذا النوع من المعجزات كرامة ألبتة^(٢).

٣ . كرامات الأولياء وإن كان الراجح أنها من معجزات الأنبياء إلا أنها دونها في المقدار فمثلاً النار التي ألقى فيها إبراهيم عليه السلام أعظم من النار التي ألقى فيها أبو مسلم الخولاني^(٣).

٤ . يشترط في المعجزة التي تقع من نوعها كرامة . كإحياء الموتى . أن ينضم إليها معجزة أخرى أو أكثر مما لا يقع من نوعها كرامة مثل خلق الطير من الطين بإذن الله لعيسى عليه السلام^(٤).

٥ . المعجزة لا تعارض بمثلها وبنفس الوجه الذي وقع به التحدي، وأما الكرامة فقد تعارض بمثلها^(٥).

^١ انظر د. إحسان عبد الغفار آية صدق النبي، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة . الرياض، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م ، ص ٨٥ ، بتصرف .

^٢ انظر ابن تيمية النبوات ج ٢ ، ص ٨٢٠ ، ٨٢١ .

^٣ ابن تيمية : النبوات، ج ١ ، ص ٨٠٣ ، ٨٠٤ .

^٤ انظر د. إحسان عبد الغفار آية صدق النبي، ص ٨٥ .

٦ . الكرامة لا تثبت نبوة لولي؛ لأن الولي لا يدعي النبوة. ولو ادعاها لأصبح من جملة الكذابين^(٢).

المبحث الثاني: الفرق بين المعجزة والسحر وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى السحر لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني : الفرق بين المعجزة و السحر عند ابن حزم.

تقدم تعريف المعجزة في بداية المبحث السابق ولكي نعرف الفرق بينها وبين السحر فلا بد من تعريف السحر وبه نبدأ هذا المبحث.

المطلب الأول: معنى السحر لغة واصطلاحاً.

١ . معنى السحر في اللغة:.

من معاني السحر في اللغة:

١ . الْأُخْذَةُ : وإنما سمي كذلك لأن السحر يأخذُ العينَ ، حتى يُظَنَّ أن الأمرَ كما يُرى وليس الأصل على ما يُرى وكلُّ ما لَطُفَ مَأْخَذُهُ وَدَقَّ فهو سِحْرٌ^(٣).

٢ . البيانُ في فِطْنَةٍ ^(١). وقد جاء في الحديث " إن من البيان لسحراً " ^(٢). معناه " يَمْدَحُ الإنسانَ فَيَصْدُقُ فيه حتى يَصْرِفَ قُلُوبَ السَّامِعِينَ إليه وَيَذُمَّه فَيَصْدُقُ فيه حتى يَصْرِفَ قُلُوبَهُمْ أيضاً عنه " ^٣.

^١ انظر د. إحسان عبد الغفار آية صدق النبي، ص ٨٥ .

^٢ انظر د. إحسان عبد الغفار آية صدق النبي، ص ٨٥ .

^٣ انظر ابن منظور: لسان العرب، ج ٤، ص ٣٤٨ .

٣ . الصرف: وأصل السِّخْرِ: صَرَفُ الشيء عن حقيقته إلى غيره فكأنَّ الساحر لما أَرى الباطلَ في صورة الحق وَخَيَّلَ الشيءَ على غير حقيقته قد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه، وقال الفراء في قوله تعالى [فَأَنَّى تُشْحَرُونَ] (٤) معناه فَأَنَّى تُصَرَفُونَ ومثله [فَأَنَّى تُؤَفَّكَونَ] (٥) أَفْكَ وَسُحِرَ سواء (٦).

٤ . الإزالة : وإنما سمي السحر كذلك لأنه يزيل الصحة إلى المرض، وإنما يقال سحره أي أزاله عن البغض إلى الحب (٧).

٥ . الخفاء: فالسحر في اللغة :عبارة عما لطف وخفي سببه، والسحر بالنصب هو الغذاء لخفائه ولطف مجاريه ، قال لييد :ونسحر بالطعام وبالشراب، أي: نعلل ونخدع كالمسحور المخدوع أ و نغذي، وكل ذلك يرجع إلى الخفاء، والسحر هو الرئة ، وما تعلق بالحلقوم وهذا أيضاً يرجع إلى معنى الخفاء ومنه قوله تعالى: { إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ } (٨)، يعني من المخلوقين الذي يطعم ويشرب يدل عليه قولهم : { مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا } (٩). (١)

^١ انظر ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص٣٤٨ .

^٢ (البخاري) محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، كتاب الطب، باب إن من البيان سحرا ج٥، ص٢١٧٦، (٥٤٣٤).

^٣ محمد بن يعقوب : الفيروزآبادي القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٥١٨ .

^٤ سورة المؤمنون الآية ٨٩ .

^٥ سورة الأنعام الآية ٩٥ .

^٦ انظر ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص٣٤٨ .

^٧ انظر ابن منظور: لسان العرب ج٤، ص٣٤٨

^٨ سورة الشعراء : الآية ١٥٣ .

^٩ سورة الشعراء : الآية ١٥٤ .

٥ . الخدعة: لقال في لسان العرب : "سحره غذاه وعلله وقيل خدعه"^٢. واستدل لذلك بقوله تعالى: { إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ } ، قال فيكون المنى في الآية من التغذية والخديعة.

٦ . الاستمالة: لأن من سحرك ، فقد استمالك^(٣).

قال ابن حجر في الفتح : " قَالَ الرَّاعِبُ وَغَيْرُهُ : السِّحْرُ يُطْلَقُ عَلَى مَعَانٍ : أَحَدُهَا مَا لَطُفَ وَدَقَّ ، وَمِنْهُ سَحَرْتُ الصَّبِيَّ خَادَعْتُهُ وَاسْتَمَلْتُهُ ، وَكُلٌّ مَنْ اسْتَمَالَ شَيْئًا فَقَدْ سَحَرَهُ"^(٤).

٧ . الساحر بمعنى العالم^(٥).

وقد جمع الشوكاني المعاني السابقة فقال في معنى السحر لغة : "وهو مشتق من سحرت الصبي : إذا خدعته . وقيل : أصله الخفاء ، فإن الساحر يفعل خفية . وقيل أصله الصرف ؛ لأن السحر مصروف عن

جهته . وقيل أصله الاستمالة؛ لأن من سحرك ، فقد استمالك . وقال الجوهري : السحر الأخذ ، وكل ما لطف مأخذه ودق ، فهو سحر . وقد سحره يسحره ، سحراً . والساحر : العالم ، وسحره أيضاً بمعنى خدعه"^(٦).

^١ الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ج ٣ ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

^٢ ابن منظور: لسان العرب ج ٤ ، ص ٣٤٩ .

^٣ محمد بن علي بن محمد الشوكاني : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، دار الفكر ، بيروت ج ١ ، ص ١٩ .

^٤ ابن حجر : فتح الباري ج ١٠ ، ص ٢٢٢ .

^٥ ابن منظور: لسان العرب ج ٤ ، ص ٣٤٩ .

^٦ محمد بن علي بن محمد الشوكاني : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، ج ١ ، ص ١١٩ .

٢ . السحر اصطلاحاً

يؤكد ابن حزم رحمه الله في كتابه الفصل أن السحر " لا يحيل عينا ولا يقلبها ولا يحيل طبيعة إنما هو حيل" (١). لأنه "لا يقلب أحد عينا ولا يحيل طبيعة إلا الله عز وجل لأنبيائه فقط" (٢). فالسحر عنده تخيل لا حقيقة له (٣).

ويعرفه في المحلى بقوله: "وَالسَّحَرُ حِيلٌ وَتَخِيلٌ لَا يُحِيلُ طَبِيعَةً أَصْلًا. قَالَ - عز وجل - { يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى } (٤)، فَصَحَّ أَنَّهَا تَخَيَّلَاتٌ لَا حَقِيقَةً لَهَا، وَلَوْ أَحَالَ السَّاحِرُ طَبِيعَةً لَكَانَ لَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ - - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - - وَهَذَا كُفْرٌ مِمَّنْ أَجَازَهُ" (٥).

ويعرفه في كتابه الدرة فيما يجب اعتقاده بأنه : "تخيل وتحيل ، لا حقيقة له ، ولا يقلب عينا ، ولا يحيل طبيعة" (٦).

وكل هذه التعاريف للسحر عند ابن حزم ليست جامعة ؛ لأنها لم تتطرق إلى جميع أنواع السحر وبالتحديد لم تتطرق إلى السحر الحقيقي . فهو يرى كما سبق أن السحر تخيل وتحيل ، لا حقيقة له ، ووافقه على ذلك أبو جعفر الاسترأبادي من الشافعية وأبو بكر الرازي من الحنفية، وكذلك تبعهم الإمام

^١ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١ ، ص ١٨٨ .

^٢ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ٩٩ .

^٣ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١ ، ص ١٠٢ .

^٤ سورة طه الآية ٦٦ .

^٥ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : المحلى ج ١ ، ص ٣٦ .

^٦ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، الدرة فيما يجب اعتقاده ، تحقيق د. أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد ، و د. سعيد بن عبد الرحمن بن

موسى ، مكتبة التراث، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٠٨ / ١٩٨٨ م ، ص ١٩٢-١٩٣ .

الشوكاني^(١). وقد سبق ابن حزم في تعريف السحر بما عرفه هو به، أبو بكر الرازي الجصاص حيث قال في تعريف السحر: "كل أمر خفي سببه، وتخليل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع"^(٢).

لكن المتأمل والمتتبع لأنواع السحر التي ذكرها ابن حزم يجد أنه أثبت أنواعا من السحر الحقيقي يرى أنها من قوى الأشياء، خلافاً لظاهر قوله الذي فيه نفي حقيقة السحر. والحق أن السحر له حقيقة، لكن أنواعه متباينة منها الحقيقي ومنها الخيالي؛ لذا اختلفت عبارات العلماء في تعريفه بحسب الأنواع التي أدخلت في التعريف المعني وبحسب الاعتقاد هل له حقيقة أم لا؟. قال ابن خلدون في مقدمته بعد أن قسم السحر إلى ثلاث مراتب: "ولما كانت المرتبتان الأوليان من السحر لها حقيقة في الخارج، والمرتبة الأخيرة الثالثة لا حقيقة لها اختلف العلماء في السحر: هل هو حقيقة أو إنما هو تخيل، فالقائلون بأن له حقيقة نظروا إلى المرتبتين الأوليين، والقائلون بأن لا حقيقة له نظروا إلى المرتبة الثالثة الأخيرة. فليس بينهم اختلاف في نفس الأمر، بل إنما جاء من قبل اشتباه هذه المراتب. والله أعلم"^(٣).

لكن عند التحقيق نجد أن الخلاف حاصل بدليل اختلافهم في تعريفه، مما جعل صاحب أضواء البيان يقول: "اعلم أن السحر في الاصطلاح لا يمكن

^١ قال الشوكاني في فتح القدير عن السحر: "وقد اختلف: هل له حقيقة أم لا؟ فذهبت المعتزلة، وأبو حنيفة إلى أنه خدع لا أصل له، ولا حقيقة". انظر محمد بن علي بن محمد الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ج ١، ص ١٤٩. ثم عرفه فقال: "والسحر هو: ما يفعله الساحر من الحيل والتخيلات التي تحصل بسببها للمسحور ما يحصل من الخواطر الفاسدة الشبيهة بما يقع لمن يرى السراب فيظنه ماء، وما يظنه راكب السفينة، أو الدابة من أن الجبال تسير". أ. هـ كلامه رحمه الله ولا يخفى أنه تبع الجصاص وابن حزم في تعريف السحر وليس كل أنواع السحر كما ذكروا. انظر محمد بن علي بن محمد الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ج ١، ص ١٤٩.

^٢ أحمد على الرازي الجصاص: أحكام القرآن، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث. بيروت، لبنان، ١٤٠٥ هـ، ج ١، ص ٥١.

^٣ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي: مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ط ٥، ١٩٨٤ م، ج ١، ص ٤٩٨.

حده بحد جامع مانع . لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته ، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعاً لها مانعاً لغيرها . ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حده اختلافاً متبايناً ^(١) . ويظهر هذا الاختلاف باستعراض بعض التعريفات للسحر لمن يرى أن له حقيقة فيما يلي ...

١ . عرفه ابن خلدون بقوله : " علوم السحر والطلسمات: هي علوم بكيفية استعدادات، تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر: إما بغير معين، أو بمعين من الأمور السماوية، والأول هو السحر، والثاني هو الطلسمات" ^(٢) .

٢ . وعرفه ابن العربي بأنه: كلام مؤلف يعظم فيه غير الله تعالى، وتنسب إليه فيه المقادير والكائنات" ^(٣) .

٣ . وعرفه ابن قدامة في الكافي بأنه : " عزائم ، ورقى ، وعقد تؤثر في الأبدان والقلوب ، فيمرض ويقتل ، ويفرق بين المرء وزوجه ، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه" ^(٤) .

^١ محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي : أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ج ٤ ، ص ٤١ .

^٢ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي : مقدمة ابن خلدون، ج ١ ، ص ٤٩٦ .
وابن خلدون رغم أنه يرى أن السحر . منه ما له حقيقة ، ومنه ما ليس له حقيقة . وهو الذي وصفه في مقدمته بقوله : "والثالث تأثير في القوى المتخيلة . يعمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة، فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلقي فيها أنواعاً من الخيالات والمحاكاة وصوراً مما يقصده من ذلك، ثم ينزلها إلى الحس" . إلا أنه لم يدخل ما ليس له حقيقة من السحر في تعريفه. انظر عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي : مقدمة ابن خلدون، ج ١ ، ص ٤٩٧ ، ٤٩٦ .

^٣ أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي : أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر ، لبنان، ج ١ ، ص ٤٨ .

^٤ عبد الله بن قدامة المقدسي أبو محمد : الكافي في فقه الإمام المجل أحمد بن حنبل، المكتب الاسلامي ، بيروت ج ٤ ، ص ١٦٤ .

٤ . وقال الآلوسي في تعريفه : "والمراد به أمر غريب يشبه الخارق وليس به، إذ يجري فيه التعلم، ويستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان بارتكاب القبائح ، قولاً كالرقى التي فيها ألفاظ الشرك ومدح الشيطان وتسخيره ، وعملاً كعبادة الكواكب والتزام الجناية وسائر الفسوق ، واعتقاداً كاستحسان ما يوجب التقرب إليه ومحبته إياه وذلك لا يستتب إلا بمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فإن التناسب شرط التضام والتعاون" (١).

ويلاحظ أن التعريفات الأربعة السابقة لم تتطرق إلى أنواع السحر التي هي تخيل، بينما لم يتطرق ابن حزم . ومن وافقه في أن السحر تخيل فقط . إلى إدخال السحر الذي يؤثر وله حقيقة في تعريفهم للسحر . ولما رأى أحد الباحثين قصور كل التعاريف التي قيلت في تعريف السحر عن شمولها لجميع أنواع السحر (٢) . ما له حقيقة وما هو تخيل . استخلص من مجموعها تعريفاً تمنى أن يكون شاملاً فقال: "السحر : هو المخادعة ، أو التأثير في عالم العناصر، بمقتضى القدرة المحدودة، بمعين من الجن، أو

١ الآلوسي : روح المعاني ج ١ ، ص ٣٣٨ .

٢ والحق أن بعض العلماء حاول الجمع بين المعاني المختلفة للسحر قال في التعاريف : "السحر يقال على معان:

الأول: تخيلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعوذة

الثاني: استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه

الثالث: ما يغير الصور والطباع كجعل الإنسان حماراً ولا حقيقة له عند المخلصين ذكره الراغب، وفي تفسير الإمام الرازي لفظ السحر في عرف الشرع يختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمثيل والمخادعة، وإذا أطلق ذم فاعله، وقد يستعمل مقيداً فيما يمدح ويحمد نحو خبر [إن من البيان لسحراً] أي إن بعض البيان سحر؛ لأن بعضه يوضح المشكل ويكشف عن حقيقة المجهول بحسن بيانه فيستميل القلوب كما يستمال بالسحر وقيل لما كان في البيان من إبداع التركيب وغرابة التأليف ما يجذب السامع ويخرجه إلى حد يكاد يشغله عن غيره شبه بالسحر الحقيقي وقال بعضهم السحر قلب الحواس في مدركاتها عن الوجه المعتاد في صحتها عن سبب باطل لا يثبت مع ذكر الله عليه وقال الكرمانى أمر خارق للعادة صادر عن نفس شريرة لا يتعذر معارضته". محمد عبد

الرؤوف المناوي،: التوقيف على مهمات التعاريف ج ١ ، صفحة ٣٩٩

بأدوية. اثر استعدادات لدى الساحر" (١) . وهو تعريف جيد؛ لاشتماله على السحر بنوعيه: الحقيقي والخيالي فقد وفق فيه الباحث من هذه الناحية ، إلا أنه يمكن أن يؤخذ عليه أن السحر الذي فيه مخادعة لا يؤثر على المسحور، والحق أن بعض أنواع السحر الذي فيه مخادعة يؤثر على المسحور، كما في سحر سحرة فرعون حيث أثر سحرهم على الأعين مع أنه سحر تخيل (٢) ؛ لذا أرى أن تعريف السحر ربما يكون شاملاً لو قلنا فيه : السحر : هو التخيل (٣) ، أو التأثير في المسحور، بمقتضى القدرة المحدودة، بمعين من الجن، أو بأدوية. اثر استعدادات لدى الساحر، أو مجموع ذلك. والله أعلم.

وليعلم أن إطلاق السحر على الشعوذة وما يجري مجراها، مما هو مجرد خدع وألاعيب، إنما هو على سبيل التجوز قال أبو السعود في تفسيره: "وأما الشعوذة وما يجري مجراها من إظهار الأمور العجيبة، بواسطة ترتيب الآلات الهندسية، وخفة اليد، والاستعانة بخواص الأدوية والأحجار، فإطلاق السحر عليها بطريق التجوز، أو لما فيها من الدقة؛ لأنه في الأصل : عبارة عن كل ما لطّف مأخذه، وخفي سببه، أو من الصرف عن الجهة المعتادة، لما أنه في أصل اللغة: الصرف، على ما حكاه الأزهرى عن الفراء ويونس" (٤).

١ . د . أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد : كتاب السحر بين الحقيقة والخيال، مكتبة التراث ، مكة ، السعودية ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ، ص

١٧ .

٢ انظر ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

٣ وإنما اخترت لفظ التخيل دون لفظ المخادعة؛ لأن لفظ التخيل هو الذي ورد به التنزيل؛ ولأنه لا يناهز وجود التأثير في المسحور.

٤ أبو السعود محمد بن محمد العمادي : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ج ١ ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

وبعد معرفة معنى السحر لغة واصطلاحاً ، فمن المناسب أن نتطرق إلى الفرق بينه وبين المعجزة.

دعونا نتعرف على ذلك في المطلب التالي

المطلب الثاني : الفرق بين المعجزات والسحر عند ابن حزم

يبدو أن ابن حزم لكي يصل إلى الفرق بين المعجزات والسحر أجاب على هذه الأسئلة : ما هو السحر؟ وهل له حقيقة؟ وما هي أنواعه؟ وما الذي يقدر على فعله الساحر؟ وهل يخرق الساحر العادة ؟ ثم قارن ذلك بالمعجزات ليصل إلى الفرق بينها وبين السحر . وقد مرت علينا بعض الأجوبة لبعض الأسئلة الماضية، ولكي نصل إلى تفصيل معتقده، لابد من الوقوف . بشيء من التفصيل . على النقاط التالية:-

١ . هل للسحر حقيقة عند ابن حزم ؟

يرى ابن حزم أن السحر كله تخيل وحيل، وليس له حقيقة، وأن الساحر لا يقلب عيناً ولا يحيل طبيعة، ولو أَّحَالَ السَّاحِرُ طَبِيعَةً لَكَانَ لَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١)، وأن من ادعى أن للسحر حقيقة فقد أبطل النبوات و الحقائق كلها (٢)، ويقول في الرد على من يعتقد أن الساحر يشبه على العيون فيريهم ما لا يرى بأسلوبه التهكمي المعهود: "إذا جاز أن يشبه على العيون حتى يرى المشبه عليها ما لا حقيقة له ولا تراه، فما يدريكم

١ انظر علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١ ، ١٠٢ ، ص ١٨٨ . وانظر علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ٩٩ . وانظر ص ١٧٩ من هذا البحث.

قال الإمام ابن حزم في المحلى: "مَسْأَلَةُ السِّحْرِ حَيْلٌ وَتَخْيِيلٌ مَسْأَلَةٌ: وَالسِّحْرُ حَيْلٌ وَتَخْيِيلٌ لَا يُحِيلُ طَبِيعَةً أَصْلًا. قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَهْمًا تَسْعَى} (سورة طه: ٦٦) { فَصَحَّ أَنَّهَا تَخْيِيلَاتٌ لَا حَقِيقَةٌ لَهَا، وَلَوْ أَّحَالَ السَّاحِرُ طَبِيعَةً لَكَانَ لَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَذَا كُفْرٌ مِمَّنْ أَجَازَهُ " . انظر ابن حزم: المحلى، ج ١ ، ص ٣٦.

٢ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٠٠ .

لعلكم كلكم الآن مشبه على عيونكم، ولعل بعض السحرة قد شبه عليكم فأراكم أنكم تتوضئون وتصلون وأنتم لا تعقلون شيئاً من ذلك، ولعلكم تظنون أنكم تزوجتم وإنما في بيوتكم ضان ومعرز، ولعلكم الآن على ظهر البحر، ولعل كل ما تعتقدون من الدين تشبيه عليكم وهذا كله لا مخلص لهم منه" (١).

ويستدل رحمه الله تعالى لصحة ما ذهب إليه (٢) بقوله تعالى : [ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون] (٣).

قال: "قلو جاز أن يكون للسحر حقيقة، ويشبه ما يأتي به الأنبياء عليهم السلام، وأمكن أن يشبه على البصر، ما ذمهم الله عز وجل بأن قالوا شيئاً يمكن كونه، لكنهم لما قالوا ما لا يمكن ألَبَتِه وتعلقوا بذلك في دفع الحقائق، عابهم الله تعالى بذلك وأنكره عليهم" (٤).

ويؤكد في كثير من المواضع أن الساحر لا يقلب عيناً ولا يحيل طبيعة؛ لأنه لا يقلب عيناً ولا يحيل طبيعة إلا الله عز وجل لأنبيائه فقط (٥)، ويستدل على ذلك بأثر عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٦) عندما رد على قول

^١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٠٦ .

^٢ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٠٠ .

^٣ سورة الحجر الآية ١٥ .

^٤ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٠٠ .

^٥ انظر علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١ ، ١٠٢ ، ص ١٨٨ . وانظر علي بن أحمد بن سعيد

بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٤ .

^٦ صحح ابن حجر إسناده هذا الأثر في الفتح. انظر ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ٦ ، ص ٣٤٤ .

الغيلان بأنهم يتحولون قائلاً: "ليس أحد يتحول عن خلقه الذي خلق له ولكن لهم سحرة كسحرتكم فإذا خشيتهم شيئاً من ذلك فأذنوا" (١).

وكأن الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى أحس بأن نفيه لحقيقة السحر ، وادعاءه بأن السحر هو مجرد تخيل لن يسلم من الردود والاعتراضات، فأثر أن يرد على الاعتراضات ، ومن ذلك قوله: " فإن قيل: قد قال الله عز وجل سحرُوا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم قلنا نعم إنها حيل عظيمة وإثم عظيم إذ قصدوا بها معارضة معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنهم كادوا عيون الناس إذ أوهموهم أن تلك الحبال والعصي تسعى فاتفقت الآيات كلها" (٢). فوضح رحمه الله أنها مجرد حيلة، وبيان ذلك: أن الحبال والعصي ملئت زنبقا ولد فيها تلك الحركات، كما يفعل العجائبي الذي يضرب بسكينه في جسم إنسان، فيظن من رآه ممن لا يدري حيلته أن السكين غاصت في جسد المضروب وليس كذلك، بل كان نصاب السكين مثقوبا فقط، فغاصت السكين في النصاب (٣).

وعمدة ابن حزم في إنكار حقيقة السحر قوله تعالى : [يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى] (٤). بل هي عمدة كل من يزعم بأن السحر تخيلات لا حقيقة لها.

والحق أن هذه الآية تخبر عن نوع سحر سحرة فرعون وليس السحر كله من هذا النوع فلا تصلح دليلاً على نفي حقيقة السحر. قال ابن حجر في الفتح: "قوله : (: يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى) هَذِهِ الْآيَةُ عُمْدَةٌ مَنْ

١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٠٣ .

٢ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٠٣ .

٣ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

٤ سورة طه الآية ٦٦ .

زَعَمَ أَنَّ السِّحْرَ إِنَّمَا هُوَ تَخْيِيلٌ ، وَلَا حُجَّةَ لَهُ بِهَا؛ لِأَنَّ هَذِهِ وَرَدَتْ فِي قِصَّةِ
سَحْرَةِ فِرْعَوْنَ ، وَكَانَ سِحْرُهُمْ كَذَلِكَ ، وَلَا يُلْزَمُ مِنْهُ أَنَّ جَمِيعَ أَنْوَاعِ السِّحْرِ
تَخْيِيلٌ" (١).

بل رأيت ابن تيمية يستدل بسحر سحرة فرعون على أن للسحر حقيقة وتأثير.

قال ابن تيمية في كتابه النبوات: "والسحرة يفسدون السمع والبصر والعقل، حتى يخيل للإنسان الأشياء بخلاف ما هي عليه، فيتغير حسه وعقله، قال في قصة موسى: { سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم }، وهذا يقتضي أن أعين الناس قد حصل فيها تغير؛ ولهذا قال تعالى: { ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون } فقد علموا أن السحر يغير الاحساس، كما يوجب المرض والقتل، وهذا كله من جنس مقدور الإنس، فإن الإنسان يقدر أن يفعل في غيره ما يفسد إدراكه، وما يمرضه ويقتله، فهذا مع كونه ظلما وشرا، هو من جنس مقدور البشر" (٢).

فبطل تعلق ابن حزم . ومن قال مثل قوله . بسحر سحرة فرعون في إنكار حقيقة السحر وتأثيره؛ لأن التخيل لم يحدث إلا نتيجة التغير الذي حصل في الأعين.

ولا أدل من إثبات أن للسحر حقيقة من وقوع السحر لنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولذلك اضطرب ابن حزم عندما ذكر ذلك قائلاً: "وكذلك ما

١ ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١٠ ، ص ٢٢٥ .

٢ ابن تيمية : النبوات، ج ٢ ، ص ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ .

روي أن النبي صلى الله عليه و سلم سحره لبيد بن الأعصم فولد ذلك عليه مرضاً حتى كان يظن أنه فعل الشيء وهو لم يفعله فليس في هذا أيضاً إحالة طبيعية ولا قلب عين وإنما هو تأثير بقوة لتلك الصناعة كما قلنا في الطلسمات والرقى "(١). ووجه اضطرابه هو أنه : كيف يكون للسحر تأثير من غير أن يكون له حقيقة؟

نعم نحن نتفق مع ابن حزم في أن السحر لا يقلب عيناً مؤكداً ذلك بثلاثة وجوه:-

الوجه الأول : عدم ورود دليل صحيح صريح يؤكد قلب الساحر للأعيان.

الوجه الثاني : لم يثبت أن ساحراً قلب عيناً عبر التاريخ . ولذلك رد ابن حجر على من عول على قدرة الله في تمكين الساحر من قلب الأعيان بقوله : "فَإِنْ كَانَ بِالنَّظَرِ إِلَى الْقُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ فَمُسَلَّمٌ ، وَإِنْ كَانَ بِالنَّظَرِ إِلَى الْوَاقِعِ فَهُوَ مَحَلَّ الْخِلَافِ ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَدَّعِي ذَلِكَ لَا يَسْتَطِيعُ إِقَامَةَ الْبُرْهَانِ عَلَيْهِ"(٢).

الوجه الثالث : قلب الأعيان هو خاصة النبي؛ لأنه من الآيات الكبرى التي لا يقدر عليها ساحر بل ولا ولي(٣) .

لكننا نختلف مع ابن حزم رحمه الله تعالى في زعمه أن السحر لا حقيقة له، بل نقول: إن قوله" مَرْدُودٌ لِرُودِ النَّقْلِ بِإِتِّبَاتِ السِّحْرِ ، وَلِأَنَّ الْعَقْلَ لَا يُنْكِرُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ يَخْرِقُ الْعَادَةَ عِنْدَ نُطْقِ السَّاحِرِ بِكَلَامٍ مُلَفَّقٍ أَوْ تَرْكِيبِ أَجْسَامِ

^١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٠٤ .

^٢ ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١٠ ، ص ٢٢٢ .

^٣ انظر إلى هذه الوجوه بشيء من التفصيل ص ١٩٨ - ٢٠٠ .

أَوْ مَزَجَ بَيْنَ قُوَى عَلَى تَرْتِيبٍ مَخْصُوصٍ ، وَنَظِيرَ ذَلِكَ مَا يَقَعُ مِنْ خُذَاقِ
الْأَطِبَّاءِ مِنْ مَزَجِ بَعْضِ الْعَقَاقِيرِ بِبَعْضٍ حَتَّى يَنْقَلِبَ الضَّارُّ مِنْهَا بِمُفْرَدِهِ
بِالتَّرْكِيبِ نَافِعًا" (١).

لذا فإن مذهب أهل السنة والجماعة هو إثبات حقيقة السحر، وأن الساحر
يؤثر في المسحور بالوسوسة والمرض بل ربما قتل المسحور.

قال الإمام النووي: "قَالَ الْإِمَامُ الْمَازِرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ
وَجُمْهُورِ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ عَلَى إِبْتِثَاتِ السِّحْرِ ، وَأَنَّ لَهُ حَقِيقَةً كَحَقِيقَةِ غَيْرِهِ مِنْ
الْأَشْيَاءِ الثَّابِتَةِ ، خِلَافًا لِمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَنَفَى حَقِيقَتَهُ ، وَأَصَافَ مَا يَقَعُ مِنْهُ
إِلَى خَيَالَاتٍ بَاطِلَةٍ لَا حَقَائِقَ لَهَا ، وَقَدْ ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ
مِمَّا يُتَعَلَّمُ ، وَذَكَرَ مَا فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ مِمَّا يُكْفَرُ بِهِ ، وَأَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ
وَزَوْجِهِ ، وَهَذَا كُلُّهُ لَا يُمَكِّنُ فِيمَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ ، وَهَذَا الْحَدِيثُ أَيْضًا مُصَرِّحٌ
بِإِبْتِثَاتِهِ ، وَأَنَّهُ أَشْيَاءٌ دُفِنَتْ وَأُخْرِجَتْ ، وَهَذَا كُلُّهُ يُبْطِلُ مَا قَالُوهُ ، فَإِحَالَةُ كَوْنِهِ
مِنْ الْحَقَائِقِ مُحَالٌ" (٢).

قال ابن حجر في الفتح: "وَاخْتُلِفَ فِي السِّحْرِ فَقِيلَ هُوَ تَخْيِيلٌ وَلَا حَقِيقَةَ لَهُ
وَهَذَا اخْتِيارُ أَبِي جَعْفَرٍ الْإِسْتِزْبَازِيِّ مِنْ الشَّافِعِيَّةِ وَأَبِي بَكْرٍ الرَّازِيِّ مِنْ
الْحَنَفِيَّةِ وَابْنِ حَزْمٍ الظَّاهِرِيِّ وَطَائِفَةٍ ، قَالَ النَّوَوِيُّ : وَالصَّحِيحُ أَنَّ لَهُ حَقِيقَةَ
وَبِهِ قَطَعَ الْجُمْهُورُ وَعَلَيْهِ عَامَّةُ الْعُلَمَاءِ ، وَيَذِلُّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ
الصَّحِيحَةُ الْمَشْهُورَةُ" (٣).

١ قاله المازري انظر ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١٠ ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

٢ أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي : صحيح مسلم بشرح النووي ، ط ٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٢هـ ، ج ١٤ ،

١٧٤ .

٣ ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١٠ ، ص ٢٢٢ .

واختلف القائلون بأن السحر له حقيقة "هَلْ لَهُ تَأْثِيرٌ فَقَطْ بِحَيْثُ يُغَيَّرُ الْمِرَاجُ فَيَكُونُ نَوْعًا مِنَ الْأَمْرَاضِ أَوْ يَنْتَهِي إِلَى الْإِحَالَةِ بِحَيْثُ يَصِيرُ الْجَمَادُ حَيَوَانًا مَثَلًا وَعَكْسُهُ" (١).

قال ابن حجر في الفتح: "فالذي عليه الجمهور هو الأول" (٢).

والتحقيق في ذلك هو قول الجمهور وهو أن التأثير يكون بتغيير مزاج المسحور وبإمراضه، وبالوسوسة إليه ، وربما مات كل ذلك بإذن الله تعالى.

قال القرطبي: "وَالْحَقُّ أَنَّ لِبَعْضِ أَصْنَافِ السِّحْرِ تَأْثِيرًا فِي الْقُلُوبِ كَالْحُبِّ وَالْبُغْضِ وَالْقَاءِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَفِي الْأَبْدَانِ بِالْأَلَمِ وَالسَّقَمِ ، وَإِنَّمَا الْمَنْكُورُ أَنَّ الْجَمَادَ يَنْقَلِبُ حَيَوَانًا أَوْ عَكْسُهُ بِسِحْرِ السَّاحِرِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ" (٣).

ولا يستغرب من ابن حزم نفيه لحقيقة السحر ؛ لأنه يزعم أن العادة لا تخرق إلا لنبي. وأما أهل السنة والجماعة فيذهبون الى أن العادة تخرق للساحر وأن السحر له حقيقة كما تقدم.

والحق أن "الساحر يؤثر في أحوال الأجسام ولا يؤثر في قلب الأعيان" (٤). فالساحر يوسوس ويمرض ويقتل كل ذلك بإذن الله. و كذلك الساحر تنخرق له العادة فيمكن أن يطير في الهواء ويمشي في الماء ، خلافاً لما يزعمه ابن حزم من أن الساحر لا تخرق له العادة.

١ ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١٠ ، ص ٢٢٢ .

٢ ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١٠ ، ص ٢٢٢ .

٣ ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١٠ ، ص ٢٢٢ .

٤ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية : كتاب الصغدية ، ج ١ ، ص ١٦٤ .

قال الألوسي : "والذي ذهب إليه جمهور أهل السنة أن السحر أقسام وأن منه ما لا حقيقة له ومنه ما له حقيقة كما يشهد بذلك سحر اللعين لبيد بن الأعصم اليهودي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسحر يهود خبير ابن عمر رضي الله تعالى عنهما حين ذهب ليخرص تمرهم . وذكروا أنه قد يصل السحر إلى حد المشي على الماء والطيران في الهواء ونحو ذلك ، وترتب ذلك عليه كترتب الشبع على الأكل، والري على الشرب، والإحراق على النار ، والفاعل الحقيقي في كل ذلك هو الله تعالى" (١)

فثبت بما تقدم خطأ ابن حزم في زعمه بأن السحر ليس حقيقة...

٢ . أنواع السحر لدى ابن حزم

ولما كان ابن حزم يرى أن السحر ليس له حقيقة وأنه تخيل فقط فقد تكلم على أنواع السحر كآلاتي...

النوع الأول : ما كان من قبل الكواكب، كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب، في زمن كون القمر في العقرب فينفع إمساكه من لدغة العقرب، ومن هذا الباب الطلسمات، التي ليس فيها إحالة طبيعية ولا قلب عين، ولكنها قوى ركبها الله عز وجل مدافعة لقوى أخرى كدفع الحر للبرد، ودفع البرد للحر (٢).

يقول الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى: "ولا يمكن دفع الطلسمات لأننا قد شاهدنا أنفاً أثارها ظاهرة إلى الآن من قرى لا تدخلها جراداة ولا يقع فيها برد،

١ الألوسي : روح المعاني ، ج ٩ ، ص ٢٥ .

٢ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ٥ ، ص ١٠١ ، ١٠٢ .

وكسر قسطة التي لا يدخلها جيش إلا أن يدخل كرهاً، وغير ذلك كثير جداً لا ينكره إلا معاند" (١).

قال: "ومن هذا الباب كان ما تذكره الأوائل في كتبهم في الموسيقى و أنه كان يؤلف بين الطبائع وينافر به أيضاً بينها" (٢).

النوع الثاني: الرقى وهو كلام مجموع من حروف مقطعة في طوابع معروفة ، يحدث لذلك التركيب قوة تستثار بها الطبائع وتدافع قوى أخرى. قال ابن حزم: "وقد شاهدنا وجربنا من كان يرقى الدم الحاد القوي الظهور في أول ظهوره فييبس يبدأ من يومه ذلك بالذبول ويتم يبسه في اليوم الثالث ويقلع كما تقلع قشرة القرحة إذا تم يبسها جربنا من ذلك ما لا نحصيه وكانت هذه المرأة ترقى أحد دملين قد دفعا على إنسان واحد ولا ترقى الثاني فييبس الذي رقت ويتم ظهور الذي لم ترق ويلقى حامله منه الأذى الشديد" (٣).

إلى أن قال: "ولا فرق بين هذين الوجهين وبين ملاقة فضلة الصفراء بالسقمونيا (٤) وملاقة ضعف القلب بالكندر (٥) وكل هذه المعاني جارية على رتبة واحدة، من طلب علم ذلك أدركه" (٦).

النوع الثالث: ما يكون بالخاصة مثل: الحجر الجاذب للحديد وما أشبه ذلك (٧).

١ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٠٢ .

٢ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٠٢ .

٣ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٠٢ .

٤ نبات يستخرج منه دواء، مسهل للبطن، و مزيل لدوده. انظر إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار: المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة، ج ١ ، ص ٣٤٧ . وكأن الإمام ابن حزم يريد أن يقول: إن السحر ليس من الخوارق؛ لأنه نتيجة حتمية مترتبة على أسباب معروفة لمن يعرفها، كالإسهال بعد شرب السقمونيا.

٥ الرجل الغليظ القصير مع شدة، وهو أيضاً الحمار العظيم، وقيل الغليظ من حمر الوحش. محمد مرتضى تاج العروس ج ١٤، ص ٧١.

٦ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٠٢ .

النوع الرابع: ما يكون لطف يد كحيل أبي العجائب :وهي أعمال لطيفة لا تحيل طبعاً أصلاً^(٢).

قال الإمام ابن حزم بعد أن ذكر هذه الوجوه : "وكل هذه الوجوه التي ذكرناها ليست من باب معجزات الأنبياء عليهم السلام، ولا من باب ما يدعيه أهل الكذب للسحرة والصالحين؛ لأن معجز الأنبياء هو خارج عن الرتب، وعن طبائع كل ما في العالم، وعن بنية العالم، لا يجري شيء من ذلك على قانون ولا على سنن معلوم"^(٣).

ثم وضح أن الساحر لا يستطيع قلب الأعيان. وأن هذا بعينه هو الذي يدعيه المبطلون للساحر وللفاضل^(٤).

أقول: أتى الإمام ابن حزم رحمه الله بأنواع من السحر توافق مذهبه في أن السحر كله تخييل ولا حقيقة له أصلاً ، وأدخل في السحر ما ليس منه كقوله: "ومنه ما يكون بالخاصة كالحجر الجاذب للحديد وما أشبه ذلك"^(٥). وأقر بسحر الطلسمات مع أن هذا النوع من السحر له حقيقة فتناقض بذلك.

والصحيح أن السحر منه ما هو تخيل ومنه ما هو حقيقة، وهو أنواع عديدة، ذكر الرازي منها ثمانية أنواع :

^١ انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٠٢ .

^٢ انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٠٢ .

^٣ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٠٢ .

^٤ انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٠٢، ١٠٣ .

^٥ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٠٢ .

الأول : سحر الكلدانيين والكسدانيين وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم ، ومنها تصدر الشرور والخيرات ، والسعادة والنحوسة، وهم الذين بعث الله تعالى فيهم إبراهيم عليه السلام مبطلاً لمقالتهم وراداً عليهم في مذهبهم^(١).

الثاني: "سحر أصحاب الأوهام والنفس القوية"^(٢) .

الثالث: "الاستعانة بالأرواح الأرضية"^(٣) .

الرابع: "التخيلات والأخذ بالعيون"^(٤).

الخامس: "الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية تارة وعلى ضروب الخيلاء أخرى"^(٥) .

السادس: "الاستعانة بخواص الأدوية: مثل أن يجعل في طعامه بعض الأدوية البلدة المزيلة للعقل، والدخن المسكرة نحو دماغ الحمار إذا تناوله الإنسان تبرد عقله، وقلت فطنته"^(٦).

السابع: "تعليق القلب وهو أن يدعي الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور ، فإذا اتفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك، وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة ، وإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة، فحينئذ يتمكن الساحر من أن يفعل حينئذ ما يشاء، وإن من جرب الأمور

^١ الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج ٣، ص ١٨٧، ١٨٩ .

^٢ الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج ٣، ص ١٨٩، ١٩١ .

^٣ الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج ٣، ص ١٩١ .

^٤ الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج ٣، ص ١٩١، ١٩٢ .

^٥ الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج ٣، ص ١٩٢، ١٩٣ .

^٦ الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج ٣، ص ١٩٣ .

وعرف أحوال أهل العلم علم أن لتعلق القلب أثراً عظيماً في تنفيذ الأعمال وإخفاء الأسرار" (١) .

النوع الثامن من السحر : "السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفيفة لطيفة وذلك شائع في الناس" (٢) .

قال في أضواء البيان بعد أن ذكر كلام الرازي في أقسام السحر: " هذا هو حاصل الأقسام الثمانية التي ذكر الفخر الرازي في تفسيره في سورة البقرة انقسام السحر إليها ولأهل العلم فيه تقسيمات متعددة يرجع غالبها إلى هذه الأقسام المذكورة" (٣) .

قال ابن عاشور في التحرير والتنوير : "وأصول السحر ثلاثة :

الأول : زجر النفوس بمقدمات توهيمية وإرهابية ، فإذا ضعفت نفس المسحور، توجه إليه الساحر فسخر له وإلى هذا الأصل الإشارة بقوله تعالى في ذكر سحرة فرعون: { سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ } (٤) .

الثاني : استخدام مؤثرات من خصائص الأجسام من الحيوان والمعدن، وهذا يرجع إلى خصائص طبيعية كخاصية الزئبق، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى في سحرة فرعون : { إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ } (٥) . الثالث : الشعوذة

١ الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ج ٣ ، ١٩٣ .

٢ الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ج ٣ ، ١٩٣ .

٣ أضواء البيان ج ٤ ، ص ٤٧ .

٤ سورة الأعراف : ١١٦ .

٥ سورة طه : ٦٩ .

واستخدام خفايا الحركة والسرعة والتموج حتى يخيّل الجماد متحركاً وإليه الإشارة بقوله تعالى : { يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى } (١) " (٢).

وليس الأمر كما زعم ابن عاشور، بل المتأمل لكلامه يجد أن السحر عنده هو ما لاحقيقة له ، بل إن النوع الأول والثالث من أنواع السحر التي ذكرها الرازي تخرج عن الأصول الثلاثة التي ذكرها ابن عاشور.

وصفوة القول: أن سبب اختلاف العلماء في أقسام السحر، يرجع إلى أمرين:

الأول: هل للسحر حقيقة أم لا؟

فمن يرى أن السحر لا حقيقة له ، نفي كل أو أغلب أنواع السحر التي لها حقيقة.

الثاني: أن من اعتقد أن السحر له حقيقة أثبت الأنواع التي رآها أو سمع بها واعتقد وجودها.

والإمام ابن حزم لم يثبت من أنواع السحر الذي له حقيقة إلا سحر الطلسمات وسحر لبيد بن الأعصم للنبي صلى الله عليه وسلم.

أما سحر الطلسمات فقد أثبتته رحمه الله لرؤيته له، وأما سحر لبيد بن الأعصم للنبي صلى الله عليه وسلم أثبت فقد أثبتته لصحة ثبوته في السنة.

١ سورة طه : ٦٦ .

٢ انظر د. أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد : كتاب السحر بين الحقيقة والخيال ، مكتبة التراث ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٣٦ ، بتصرف.

وفي نظري أن أقوى أنواع السحر ما كان فيه استعانة بالشياطين، والله أعلم.

٣ . الفرق بين المعجزة والسحر عند ابن حزم

مر علينا في المطلب السابق وفي بداية هذا المطلب، أن ابن حزم يرى أن السحر لا يقلب عينا ولا يحيل طبيعة ؛ لأنه لا يقلب عينا ولا يحيل طبيعة إلا الله عز وجل لأنبيائه فقط^(١). وهذا عنده من الفروق بين المعجزات وغيرها خاصة السحر . وقد مر علينا أن ابن حزم يرى أن خرق العادة لا يكون إلا لنبي ، وأنه يتمتع خرق العادة للولي والساحر ، وهذا أيضا من الفروق التي يعول عليها عندما يتكلم عن الفرق بين المعجزة والسحر .

ولكي يوضح الإمام ابن حزم الفرق بين المعجزة والسحر: بيّن أن العالم كله جوهر^(٢) وعرض^(٣) لا سبيل إلى وجود قسم ثالث في العالم دون الله تعالى، وأن اختراع الجواهر من العدم إلى الوجود ممتنع غير ممكن البتة لأحد دون الله تعالى ، وأن من ظهر عليه اختراع جسم كالماء النابع من أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة الجيش فهي معجزة شاهدة من الله تعالى له بصحة نبوته لا يمكن غير ذلك أصلاً^(٤).

^١ انظر علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١ ، ١٠٢ ، ص ١٨٨ . وانظر علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٤ .

^٢ الجوهر هو : القائم بنفسه ويحمل غيره، فكل جرم في العالم جوهر، وطوله وعرضه ولونه وحركته وشكله وسائر صفاته المحمولة فيه هي العرض. انظر ابن حزم: التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامة والأمثلة الفقهية، ج ١ ، ص ٢٠ . وانظر: نظرية الوجود لدى ابن حزم : د. عبدالراضي محمد عبدالمحسن، ص ١٥٢ .

قال الإمام ابن حزم: "لا يمكن أن يوجد شيء قائم بنفسه حامل لغيره لا يسمى جوهرًا، ولا يمكن أن يوجد جوهر لا يكون قائما بنفسه حاملا لغيره". انظر ابن حزم: التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامة والأمثلة الفقهية، ج ١ ، ص ٢٠ .

^٣ العرض هو : المحمول بغيره الذي لا يقوم بنفسه، وسمي عرضاً لأنه عرض في الجسم أي حل فيه وحدث. انظر ابن حزم : الدرة فيما يجب اعتقاده، ص . وانظر أيضاً : نظرية الوجود لدى ابن حزم : د. عبدالراضي محمد عبدالمحسن، ص ١١٣ .

^٤ انظر علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١ ، ص ١٤٥ .

ويبين الإمام ابن حزم كذلك أن إحالة الأعراض التي هي جوهريات ذاتيات وذلك كقلب العصا حية، وحنين الجذع، وإحياء الموتى، والبقاء في النار ساعات لا تؤذيه، وما أشبه ذلك، وكذلك الأعراض التي لا تزول إلا بفساد حاملها كالغطس^(١) والرزق^(٢) ونحو ذلك، فهذا لا يقدر عليه أحد دون الله تعالى بوجه من الوجوه^(٣).

ويوضح الإمام ابن حزم أن الذي يقدر عليه الساحر فقط حيل أرباب العجائب، وإحالة الأعراض من الغيرات التي تزول بغير فساد حملها ومن ذلك الطلمسات كتثفير بعض الحيوان عن مكان ما فلا يقربه أصلاً وكإبعاد البرد ببعض الصناعات وما أشبه ذلك^(٤).

ووضح أن حيل أرباب العجائب والحلاج كالتخييل بنوع من الخديعة مثل عمل سكين مثقوبة النصاب، تدخل فيها السكين ويظن من رآها أنها دخلت في جسد المضروب بها، وأشباه ذلك من الحيل، فأمر يقدر عليه من تعلمه وتعلمه ممكن لكل من أراد^(٥).

قال: "فالذي يأتي به الأنبياء عليهم السلام هو إحالة الذاتيات ومن ذلك صرف الحواس على طبائعها كمن أراك ما لا يراه غيرك أو مسح يده على مريض فأفاق أو سقاه ما يضر علته فبريء أو أخبر عن الغيوب في

^١ الغطس في الماء : الغمس فيه ، انظر لسان العرب ج٦، ص١٥٥.

^٢ الرزق معروف، و الأرزاق نوعان: ظاهرة للأبدان كالأقوات، وباطنة للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم، انظر لسان العرب، ج١٠، ص١١٥.

^٣ انظر علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١، ص ١٤٥.

^٤ انظر علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١، ص ١٤٥، ١٤٦.

^٥ انظر علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١، ص ١٥٥.

الجزئيات عن غير تعديل ولا فكرة فهذه كلها إحالة الذاتيات وما ثبت إذ ثباتها لا يكون إلا لنبي" (١).

وكلام ابن حزم السابق فيه تأكيد لاعتقاده بأن المعجزة حقيقة بينما السحر كله تخيل وحيل ، وأن المعجزة فيها قلب الأعيان وإحالة الطبائع بينما السحر لا يحيل طبيعة ولا يقلب عيناً ، ويؤكد ذلك أيضاً في رده على من يدعي أن سحرة فرعون عملوا مثل ما عمل موسى عليه السلام من قلب الماء دماً (٢)، وقلب العصا حية (٣)، وأنهم فقط لم يستطيعوا اختراع البعوض كما اخترعه موسى (٤) قال ابن حزم: "هذا هو الباطل والتبديل الظاهر لأن السحر لا يحيل عيناً ولا يقلبها ولا يحيل طبيعة إنما هو حيل قد بينا الكلام فيها بعون الله تعالى في موضعه من هذا الكتاب وفي غيره" (٥).

أما ادعاء ابن حزم بأن السحر تخيل وحيل فقط ، فيرده أن هنالك أنواع من السحر ليست حيلاً ولا مجرد تخيل فقط ، وإنما هي حقيقة تكون النتيجة في بعضها مرض المسحور وفي بعضها زوال عقله وربما موته. وقد تكلمنا عن ذلك في تعريف السحر (٦) وزدنا ذلك بياناً عندما تكلمنا عن أنواع السحر (٧) وعندما ناقشنا: هل للسحر حقيقة (٨)؟

١ انظر علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١، ص ١٥٥ .

٢ انظر علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١، ص ٢٤٧ ، ٢٥٠ .

٣ انظر علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١، ص ٢٤٧ .

٤ انظر علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١، ص ١٨٨ ، ٢٤٧ .

٥ انظر علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١، ص ١٨٨ .

٦ انظر ص ١٧٩ - ١٨٠ .

٧ انظر ص ١٩١ ، ١٩٢ .

٨ انظر ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

وأما جزمه بأن السحر لا يقلب عينا ولا يحيل طبيعة فهو محق فيه ،
 ويعلل ذلك بأنه لو جاز أن يقلب الساحر طبيعة أو يقلب عينا لتعذر
 الفرق بين النبي والساحر (١) .

ويرى أن اشتراط التفريق بين المعجزة والسحر بشرط تحدي النبي بالمعجزة
 هو شرط باطل، ورد على ذلك بخمسة، وجوه ذكرناها عندما تكلمنا عن
 الفرق بين المعجزة والكرامة فلا داعي للإعادة(٢).

ويرى ابن حزم بأن كون السحر لا يقلب عينا أمر واضح ، وأن الفرق
 بين وواضح بينه وبين المعجزة، وقد كان حريصا على تكرار ذلك ، مع
 استدلاله على ذلك بأثر عن عمر رضي الله عنه: " أنه ليس أحد يتحول عن
 خلقه الذي خلق له ولكن لهم سحرة كسحرتكم فإذا خشيتم شيئا من ذلك
 فأذنبوا". قال: فهذا عمر رضي الله عنه يبطل إحالة الطبائع وهذا نص قولنا
 والحمد لله رب العالمين كثيرا"(٣).

ويرى أن من درس المنطق لا يلتبس عليه الفرق بين المعجزة والسحر.
 قال ابن حزم في الفرق بين المعجزة والسحر : " وإنما يلوح الفرق جداً بين
 هذين السبيلين لأهل العلم بحدود الأسماء والمسميات وبطبائع العالم
 وانقسامه من مبدئه من أجناس إلى أنواعه إلى أشخاصه وما هو عليه من
 أعراضه ذاتي وما هو منها غيري وما يسرع الاستحالة والزوال من الغيري
 منها وما يبطل زواله منها وما يثبت منها ثبات الذاتي وإن لم يكن ذاتيا

١ انظر علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٠٤ .

٢ انظر أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ، ١٠٥ ، ١٠٦ . وانظر ص ١٦٧ .
 ١٦٩ من هذا البحث.

٣ انظر علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٠٣ . صحح ابن حجر إسناده هذا الأثر في
 الفتوح. انظر ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ٦ ، ص ٣٤٤ .

والفرق بين البرهان وبين ما نظن أنه برهان وليس برهانا والحمد لله على ما وهب وأنعم به علينا لا إله إلا هو" (١).

وما جزم به ابن حزم من أن قلب العين لا يكون إلا لنبي ، لا لولي ولا لساحر صحيح(٢) ، لثلاثة وجوه :

الوجه الأول : أن أصح ما ورد في استدلال من قال بأن الساحر يستطيع قلب الأعيان هو ما أورده الطبري في تفسيره حيث قال:

حدثنا الربيع بن سليمان، أخبرنا ابن وهب، أخبرني ابن أبي الزناد، حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم [رضي الله عنها وعن أبيها] أنها قالت: قدمت امرأة علي من أهل دومة الجندل، جاءت تبغني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته حَدَاثَةً ذَلِكَ، تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر، ولم تعمل به. قالت عائشة، رضي الله عنها، لعُروّة: يا ابن أختي، فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشفئها كانت تبكي حتى إني لأرحمها، وتقول: إني أخاف أن أكون قد هلكت. كان لي زوج فغاب عني، فدخلت على عجوز فشكوت ذلك إليها، فقالت: إن فعلت ما آمرك به فأجعله يأتيك. فلما كان

١ انظر علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٠٣ .

٢ قال ابن تيمية في الصغدية "وأما قلب الأعيان إلى ما ليس في طبعها الانقلاب إليه كمصير الخشب حيوانا حساسا متحركا بالإرادة يبلغ عصيا وحبالا ولا يتغير، فليس هذا من جنس مقدور البشر لا معتادا ولا نادرا ولا يحصل بقوى نفس أصلا ، ولهذا لما رأى سحرة فرعون ذلك علموا أنه خارج عن طريقة السحر، [فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون]. [سورة الشعراء ٤٦- ٤٨] ،وهذه الحادثة الخارقة للعادة فيها إثبات الصانع، وإثبات نبوة أنبيائه، فإن حدوث هذا الحادث على هذا الوجه في مثل ذلك المقام يوجب علما ضروريا أنه من القادر المختار لتصديق موسى ونصره على السحرة ، كما قال تعالى: [فأوحى في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى]. [سورة طه ٦٧- ٦٩] .وكذلك إخراج صالح الناقة من هضبة من الهضاب أمر خارج عن قوى النفوس وغيرها". انظر ابن تيمية:

الصغدية ج ١ ، صفحة ١٣٨ .

الليل جاءتني بكليين أسودين، فركبتُ أحدهما وركبت الآخر، فلم يكن كشيء حتى وقفنا ببابل، وإذا برجلين معلقين بأرجلهما. فقالا ما جاء بك؟ فقلتُ: أتعلم السحر. فقالا إنما نحن فتنة فلا تكفري، فارجعي. فأبيت وقلت: لا. قالوا فاذهبي إلى ذلك التنور، فبولي فيه. فذهبت ففزعتُ ولم أفعل، فرجعت إليهما، فقالا أفعلت؟ فقلت: نعم. فقالا هل رأيت شيئاً؟ فقلت: لم أر شيئاً. فقالا لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري [فإنك على رأس أمري]. فأرَبَّيت وأبيت. فقالا اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه. فذهبت فاقشعررت [وخفت] ثم رجعت إليهما فقلت: قد فعلت. فقالا فما رأيت؟ فقلت: لم أر شيئاً. فقالا كذبت، لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري؛ فإنك على رأس أمرك. فأرَبَّيت وأبيتُ. فقالا اذهبي إلى ذلك التنور، فبولي فيه. فذهبت إليه فبلت فيه، فرأيت فارساً مقنعاً بحديد خرج مني، فذهب في السماء وغاب [عني] حتى ما أراه، فجنَّتهما فقلت: قد فعلت. فقالا فما رأيت؟ قلت: رأيت فارساً مقنعاً خرج مني فذهب في السماء، حتى ما أراه. فقالا صدقت، ذلك إيمانك خرج منك، اذهبي. فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئاً وما قالوا لي شيئاً. فقالت: بلى، لم تريدي شيئاً إلا كان، خذي هذا القمح فابذري، فبذرت، وقلت: أطلعي فأطلعت وقلت: أحقلي فأحقلت ثم قلت: أفركي فأفركت. ثم قلت: أيبسي فأيبست. ثم قلت: أطحني فأطحنت. ثم قلت: أخبزي فأخبزت. فلما رأيتُ أنني لا أريد شيئاً إلا كان، سقط في يدي وندمت -والله- يا أم المؤمنين والله ما فعلت شيئاً قط ولا أفعله أبداً" (١).

١ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي: سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، كتاب القسامة، باب قبول توبة الساحر وحقق دمه بتوبته سنن البيهقي الكبرى، مكتبة دار الباز -، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م، ج ٨، ص ١٣٧. (٢٨٢ ١٦). علق ابن كثير على إسناد هذا الحديث قائلاً "فهذا إسناد جيد إلى عائشة، رضي الله عنها". انظر إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء: تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ١٤٣، وهو كما قال.

قال ابن كثير "وقد استدل بهذا الأثر من ذهب إلى أن الساحر له تمكن في قلب الأعيان؛ لأن هذه المرأة بذرت واستغلت في الحال.

وقال آخرون: بل ليس له قدرة إلا على التخييل، كما قال الله تعالى: {سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ} (١) وقال تعالى: {يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} (٢) " (٣).

أقول :.

أولاً: هذا الأثر يعارض أثر عمر ابن الخطاب الذي أشرنا إليه آنفاً وهو قوله للغيلان: "ليس أحد يتحول عن خلقه الذي خلق له ولكن لهم سحرة كسحرتكم فإذا خشيتم شيئاً من ذلك فأذنوا" (٤). (٥).

ثانياً : هل هذه المرأة صادقة فيما قالت أم لا؟

والراجع أن ما قالته المرأة من قلب للأعيان لم يحدث، لجواز تخيلها، ولجواز كذبها، وهو الأقرب ويوضحه الوجه التالي.

الوجه الثاني : أن الواقع يشهد بخلاف ذلك فلم يثبت . مثلاً . أن ساحراً قلب أحد الناس حماراً عبر التاريخ . ولذلك رد ابن حجر على من عول على قدرة الله في تمكين الساحر من قلب الأعيان بقوله : " فَإِنْ كَانَ بِالنَّظَرِ إِلَى

١ سورة الأعراف: ١١٦ .

٢ سورة طه: ٦٦ .

٣ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء : تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ١٤٣ .

٤ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ٥ ، ص ١٠٣ .

٥ صحاح ابن حجر إسناده هذا الأثر في الفتح . انظر ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ٦ ، ص ٣٤٤ .

الْقُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ فَمُسَلَّمٌ ، وَإِنْ كَانَ بِالنَّظَرِ إِلَى الْوَاقِعِ فَهُوَ مَحَلُّ الْخِلَافِ ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَدَّعِي ذَلِكَ لَا يَسْتَطِيعُ إِقَامَةَ الْبُرْهَانِ عَلَيْهِ" (١).

الوجه الثالث : إذا كان قلب الأعيان يقدر عليه النبي والساحر لتعذر الفرق بين النبي والساحر، ولالتبس الحق بالباطل.

ولا نقول كما قال ابن حزم " لا فرق بين النبي وغيره إلا في هذا الباب، فإذا أمكن لغير النبي فلم يبق إلا دعوى لا برهان عليها" (٢) ؛ لأن الفروق بين النبي والساحر كثيرة، ولكن نقول إن هذا القدر بالذات . وهو قلب الأعيان . لو كان مشتركاً بين الأنبياء والسحرة لم يكن للأنبياء ما يختصون به ، فهو أعظم ما اختصوا به وهو آياتهم الكبرى. ولذلك فإذا أمكن للساحر أن يقلب عيناً فالأمر كما قال ابن حزم لم يبق . للنبوة . إلا دعوى لا برهان عليها. وجمهور العلماء يقولون بأن الساحر لا يقلب عيناً وهو الصحيح لما تقدم .

والقائلون بهذا القول . إن الساحر يقلب الأعيان . ليس عندهم فرق بين النبي وغيره إلا بالتحدي.

ولذلك شنع بهم ابن حزم وبقيلهم فقال: " وقال هذا الباقلاني لا فرق بين النبي والساحر الكذاب المتنبي فيما يأتينا به إلا التحدي فقط، وقول النبي لمن بحضرته: هات من يعمل كعملي، وهذا إبطال للنبوة مجرد" (٣).

وقال أيضاً: " ولا عجب أعجب من قول من يجيز قلب الأعيان للساحر، وهو عندهم فاسق أو كافر، ويجيز مثل ذلك للصالح وللنبي، فقد جاز عندهم

١ ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١٠ ، ص ٢٢٢ .

٢ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١ ، ص ٢٤٩ .

٣ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ٨٤ .

قلب الأعيان للنبي وللصالح وللفاسق وللكافر، فوجب أن قلب الأعيان جائز من كل أحد وبؤسا لقول أدى إلى مثل هذا " (١).

و إنكار الإمام ابن حزم خوارق السحرة مبني على أمرين :

أولهما: اعتقاده بأن السحر كله حيل وتخيل لا حقيقة له أصلاً وقد تم الرد على ذلك .ووضحنا بأن السحر له حقيقة. وأن هنالك أنواع من السحر ليست حيلاً بل هي حقيقة.

ثانيهما: اعتقاده بأن العادة لا تخرق إلا لنبي.

وادعاء ابن حزم بأن خرق العادة لا يكون إلا لنبي غير صحيح، كما مر علينا في المبحث السابق.

بل تخرق العادة للأنبياء وللصالحين وللسحرة، مع وجود الفارق بين الخوارق الثلاث .

فما يخرق من العادة للأنبياء . أعني معجزاتهم وآياتهم الكبرى . لا يقدر عليه السحرة بل ولا الأولياء، بل لا يقدر عليه إنسي ولا جني، وأما آياتهم الصغرى فقد يوجد ما يشابه بعضها عند بعض الأولياء؛ ذلك لأن كرامات الأولياء تشترك مع معجزات الأنبياء في الجنس. ولأجل اشتراك كرامات الأولياء مع معجزات الأنبياء في الجنس، وجد من الصالحين من أحيا الله له ميتاً كما أحياه الله لعيسى عليه السلام، أو كانت النار عليه برداً وسلاماً

^١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٠٨ .

عليه، كما كانت على إبراهيم عليه السلام وهو: أبو مسلم الخولاني وإن كانت ناره أقل من نار إبراهيم عليه السلام. وهذا مما ينكره ابن حزم^(١) .

وأما السحر فلا يشترك مع المعجزات في الجنس، ولذلك لا يقدر الساحر على فعل ما هو من جنس آيات الأنبياء لا الصغرى ولا الكبرى^(٢)، فضلاً على أن يقدر على مثلها. بل معجزات الأنبياء مبنية على الصدق، وخوارق السحرة مبنية على الكذب . وسنذكر الفروق بين المعجزات والسحر كاملة في نهاية هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

ومن هنا يظهر خطأ من ظن أن الساحر يقدر على جنس آيات الأنبياء لكن الله يمنعه ويحول بينه وبين ذلك، أو أن الله لا يقدر على إظهار آية على يد كاذب متنبئ أو ساحر متنبئ. ذلك لأن خوارق الأنبياء وخوارق السحرة ليست من جنس واحد أصلاً ، فالمقارنة ليست واردة.

ولذلك أغلظ عليهم ابن حزم في الرد ومن ذلك قوله : "وأما قول الباقلاني: إن الله تعالى لا يقدر على إظهار آية على يد كذاب فهو داخل في جملة تعجيزه الباري تعالى"^(٣). ثم قال: "وما في الكفر أسمح من هذا ولا أطم ولا أبرد"^(٤).

ومن العرض السابق لأقوال ابن حزم في الفرق بين المعجزة والسحر يتضح أن : **مجمل الفروقات بين المعجزة والسحر عند ابن حزم هي:**

^١ انظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٢ ، ص ٢٠٧ .

^٢ انظر ابن تيمية : النبوات، ج ٢ ، ص ١٠٧٥ ، ١٠٨١ . وانظر ابن تيمية : النبوات، ج ١ ، ص ٥٥٨ ، ٥٥٩ .

^٣ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٠٩ .

^٤ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ص ١٠٩ .

١ . المعجزات حقائق بينما السحر تخييل لا حقيقة له أصلاً.

٢ . السحر لا يحيل طبيعة ولا يقلب عيناً ، بينما المعجزات فيها قلب الأعيان وإحالة الطباع ، بل هذه خاصة المعجزة.

٣ . تخرق العادة للنبي ولا تخرق للساحر .

ولما كان ابن حزم ينكر خوارق السحرة لم يكن السحر عنده إلا مجرد تخييل لا حقيقة له كما مر . لذلك كان يعول على ما ذكرنا في الفرق بين المعجزة والسحر .

وهو وإن كان قد جانب الصواب في إنكار خوارق السحرة وفي جعل السحر كله ضرباً من التخيل حسب ظاهر كلامه (١) . وبالتالي لم يصل إلى الفروق الدقيقة بين المعجزة والسحر . إلا أنه يعتبر أفضل ممن جعل المعجزة والسحر من جنس واحد ولم يجعل بينهما فرقاً إلا بالتحدي ودعوى النبوة كالأشاعرة ومن وافقهم (٢) .

ولذلك شنع عليهم ابن حزم حتى قال ابن تيمية مؤيداً له: "فرقوا (٣) بعدم المعارضة وهذا فرق غير معلوم وهو مجرد دعوى، قالوا: لو ادعى الساحر والكاهن النبوة لكان الله ينسيه الكهانة والسحر، وكان له من يعارضه؛ لأن السحر والكهانة: هي معجزة عندهم. وفي هذه الأقوال من الفساد عقلاً وشرعاً، ومن المناقضة لدين الاسلام وللحق ما يطول وصفه، ولا ريب أن

١ بينا من قبل أن ظاهر كلام ابن حزم إنكار جميع أنواع السحر الحقيقي، لكنه في الحقيقة اعترف بنوعين منه: هما سحر النبي صلى الله عليه وسلم وسحر الطلسمات، حيث أثبت وجود تأثير بقوة لتلك الصناعة ، وهذا يدل على أن هذين النوعين من السحر لهما حقيقة.

٢ انظر على سبيل المثال قول المازري: "فإن قيل إذا جوزت الأشعرية خرق العادة على يد الساحر، فبماذا يتميز عن النبي؟ فالجواب: أن العادة تنخرق على يد النبي والولي والساحر، لكن النبي يتحدى بها الخلق". انظر أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي : صحيح مسلم

بشرح النووي ، ج ١٤ ، ص ١٧٥ .

٣ أي الأشاعرة .

قول من أنكر وجود هذه الخوارق أقل فسادا من هذا، ولهذا يشنع عليهم ابن حزم وغيره بالشناعات العظيمة، ولهذا يقيم أكابر فضلائهم مدة يطلبون الفرق بين المعجزات والسحر فلا يجدون فرقا، إذ لا فرق عندهم في نفس الأمر. والتحقيق: أن آيات الأنبياء مستلزمة للنبوة، ولصدق الخبر بالنبوة، فلا يوجد إلا مع الشهادة للرسول بأنه رسول، لا يوجد مع التكذيب بذلك، ولا مع عدم ذلك ألبتة، وليست من جنس ما يقدر عليه لا الإنس ولا الجن^(١).

الفروقات الدقيقة بين المعجزات والسحر، والأنبياء والسحرة:

الأول: أن الأنبياء صادقون فيما يخبرون به لا يكذبون قط، وأما السحرة والكهان فلا بد أن يكذبوا^(٢) كما قال تعالى: {هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ} ^(٣).

الثاني: الأنبياء لا يأمرؤن إلا بالعدل وطلب الآخرة وعبادة الله وحده وأعمالهم البر والتقوى، ويأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر، وأما السحرة والكهان فيأمرؤن بالشرك والظلم، ويعظمون الدنيا، وفي أعمالهم الإثم والعدوان والظلم، ويفعلون الشرك والفواحش، ويقولون على الله بغير علم، وبذلك يرتكبون المحرمات التي حرمها الله مطلقاً^(٤)، وهي في قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ

^١ ابن تيمية: النبوات، ج ٢، ص ٧٩٧-٨٠٠.

^٢ ابن تيمية: النبوات، ج ٢، ص ١٠٧٤. وانظر ابن تيمية: النبوات، ج ١، ص ٥٥٨.

^٣ سورة الشعراء الآية ٢٢١، ٢٢٢.

^٤ ابن تيمية: النبوات، ج ٢، ص ١٠٧٤، ١٠٧٥. وانظر ابن تيمية: النبوات، ج ١، ص ٥٥٨.

وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
{(١)}.

الثالث: أن معجزات الأنبياء لا تكون إلا لهم، ولمن اتبعهم من الأولياء، فهي تدل على صدقهم وصدق نبوتهم، أما السحر والكهانة ونحوهما فهي أمور معتادة معروفة لأصحابها، ليست خارقة لعاداتهم وعادات من يشابههم من عباد المشركين، وأهل الكتاب، وأهل البدع والفجور^(٢)

وعليه فإن معجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء، كلها من جنس واحد، وكلها تدل على صدق الأنبياء وصدق نبوتهم.

أما السحر فهو من جنس آخر غير جنس المعجزات^(٣). وهذا يقودنا إلى الفرق التالي...

الرابع: معجزات الرسل الكبرى لا يقدر عليها لا جن ولا إنس، بل هي خارقة لعادة كل من أرسل النبي إليه، بل ولا يقدر عليها ملك، وإن كانت الملائكة قد يكون لهم فيها سبب، قال تعالى: {قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} {٤}. نعم قد يشارك الصالحون الأنبياء في آياتهم الصغرى، لكن هذه الكرامات تعتبر من معجزات الأنبياء، ولا تساويها في العظمة والمقدار، ولا يتوقف إثبات النبوة عليها^(٥).

^١ سورة الأعراف الآية ٣٣ .

^٢ انظر ابن تيمية : النبوات، ج ٢ ، ص ١٠٧٥ . وانظر ابن تيمية : النبوات، ج ١ ، ص ٥٥٨ .

^٣ انظر ابن تيمية : النبوات، ج ٢ ، ص ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ .

^٤ سورة الإسراء الآية ٨٨ .

^٥ انظر ابن تيمية : النبوات، ج ٢ ، ص ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ .

وأما ما يأتي به الكهان والسحرة فلا يخرج عن كونه مقدور للجن والإنس، ولا يقدر السحرة والكهان على الإتيان بما هو من جنس معجزات الأنبياء، لا الصغرى ولا الكبرى، فمعجزات الأنبياء خارقة لعاداتهم^(١). وهذا يقودنا لفرق آخر وهو...

الخامس: أن معجزات الأنبياء لا يتوصل إليها بسبب ولا ينالها أحد باكتسابه، وأن النبوة هي محض فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. أما الكهانة والسحر فينالهما الإنسان بتعلمه وسعيه واكتسابه، أو هي مما يتوصل إليه بسبب كالذي يأتي بأقوال وأفعال تحدثها الجن، وهذا مجرب عند الناس^(٢).

السادس: "أن النبوة لو قدر أنها تتال بالكسب، فإنما تتال بالأعمال الصالحة، والصدق، والعدل، والتوحيد، لا تحصل مع الكذب على من دون الله فضلا عن أن تحصل مع الكذب على الله فالطريق الذي تحصل به لو حصلت بالكسب مستلزم للصدق على الله فيما يخبر به"^(٣).

أما السحر فينال بالكفر والشرك، والبدع، والكذب على الناس وعلى الله، والمعاصي والفجور.

السابع: معجزات الأنبياء لا يمكن لأحد أن يعارضها بمثلها، وأما السحر فيمكن معارضته بمثله^(٤). فالسحرة "يتحاسدون ويتعادون ويقهر بعضهم

^١ انظر ابن تيمية : النبوات، ج ٢ ، ص ١٠٧٥ ، ١٠٨١ . وانظر ابن تيمية : النبوات، ج ١ ، ص ٥٥٩ .

^٢ انظر ابن تيمية : النبوات، ج ٢ ، ص ١٠٨٤ ، ١٠٧٣ . وانظر ابن تيمية : النبوات، ج ١ ، ص ٥٥٨ .

^٣ انظر ابن تيمية : النبوات، ج ١ ، ص ٥٥٩ . وانظر ابن تيمية : النبوات، ج ٢ ، ص ١٠٧٥ .

^٤ انظر ابن تيمية : النبوات، ج ١ ، ص ٥٥٩ .

بعضاً بخوارقه إما بقتل وإمراض وإما بسلب حاله وعزله عن مرتبته وإما غير ذلك" (١).

كما أن السحر يمكن إبطاله بالقرآن والذكر والدعاء.

الثامن: أن الملائكة تعين الأنبياء وتدعوا لهم وتؤيدهم وتنصرهم كما حصل من التأييد للنبي صلى الله عليه وسلم

أما السحرة والكهان فتخدمهم الشياطين بمقابل ما يفعلونه من كذب (٢)، وشرك، وكفر، وبدعة، وفجور.

التاسع: أن النبي لا يأمر إلا بما أمرت به الأنبياء قبله، من عبادة الله وحده، والعمل بطاعته، والتصديق باليوم الآخر، والإيمان بجميع الكتب والرسول، فلا يمكن خروجه عما اتفقت عليه الأنبياء (٣).

وأما السحرة والكهان فإنهم يخرجون عما اتفقت عليه الأنبياء ولا بد، فكلهم يشركون مع تنوعهم ويكذبون ببعض ما جاء به الأنبياء، والأنبياء كلهم منزّهون عن الشرك، وعن التكذيب بشيء من الحق الذي بعث الله به نبياً (٤).

وعليه فالأنبياء كلهم مؤمنون، موحدون، صادقون . والساحر لا يكون إلا مشركاً ومكذباً ببعض ما أنزل الله (٥).

^١ ابن تيمية : النبوات، ج ٢، ص ١٠٨٢ .

^٢ انظر ابن تيمية : النبوات، ج ٢، ص ١٠٦١، ١٠٦٢ .

^٣ انظر ابن تيمية : النبوات، ج ٢، ١٠٨٦، ١٠٩٠، ١٠٩١ . وانظر ابن تيمية : النبوات، ج ١، ص ٥٦٠ .

^٤ انظر ابن تيمية : النبوات، ج ٢، ١٠٨٦ . وانظر ابن تيمية : النبوات، ج ٢، ص ١٠٩٢، ١٠٩٥ .

^٥ انظر ابن تيمية : النبوات، ج ٢، ١٠٨٦، ١٠٨٩، ١٠٩٠ .

العاشر: أن الأنبياء كملوا الفطرة، وأمروا بما يوافق العقول مما فيه صلاح المعاش والعباد، فأصلحوا العقل والقلوب والسمع والبصر وسائر الحواس، ففتح الله بهم أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً^(١).

أما السحرة فهم يفسدون الحس والعقل " فقد عرف أن السحر يغير الحس والعقل، حتى يخيل إلى الانسان الشيء بخلاف ما هو. وكذلك سائر الخوارق الشيطانية لا تأتي إلا مع نوع فساد في الحس أو العقل، كالمؤلهين الذين لا تأتيهم إلا مع زوال عقولهم وآخرين لا تأتيهم إلا في الظلام، وآخرين يتمثل لهم الجن في صورة الإنس، فيظنون أنهم إنس، أو يرونهم مثال الشيء، فيظنون أن الذي رأوه هو الشيء نفسه، أو يسمعونهم صوتاً يشبه صوت من يعرفونه، فيظنون أنه صوت ذلك المعروف عندهم"^(٢).

الحادي عشر: أن معجزات الأنبياء لا تتال بالطلب، ولو طلبها الناس من النبي، حتى يأذن الله فيها^(٣)، ودليل ذلك قوله تعالى: {قل إنما الآيات عند الله}^(٤). وقال تعالى: {قل إن الله قادر على أن ينزل آية}^(٥). وكذلك لا يتطرق الشك إلى ما يقدر عليه الملائكة من المعجزات لأن " الملائكة لا تكذب على الله ولا تقول لبشر إن الله أرسلك ولم يرسله"^(٦).

وأما خوارق السحرة فتتال بطلب الساحر لها، عند تقربه للشياطين بأنواع الكفر والفسوق والعصيان، وهو يكذب ، و الشياطين تكذب عليه.

^١ انظر ابن تيمية : النبوات، ج ٢ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٥ .

^٢ ابن تيمية : النبوات، ج ٢ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ .

^٣ ابن تيمية : النبوات، ج ١ ، ٥٦٠ .

^٤ سورة الأنعام الآية ١٠٩ .

^٥ سورة الأنعام الآية ٣٧ .

^٦ ابن تيمية : النبوات، ج ١ ، ص ٥٥٩ .

والثاني عشر: وبالجملّة، فالفرق بين النبي والساحر أعظم وأوضح من الفرق بين الليل والنهار فإن "النبي يأتيه ملك كريم من عند الله، ينبئه عن الله، والساحر والكاهن إنما معه شيطان، يأمره ويخبره.

قال تعالى: { هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون } (١).

فلا الخبر كالخبر ولا الأمر كالأمر، ولا مخبر هذا كمخبر هذا، ولا أمر هذا كآمر هذا، كما أنه ليس هذا مثل هذا " (٢).

ونختم هذا المطلب ببيان حكم الساحر.

٤ . ما هو حكم الساحر عند ابن حزم؟

معلوم اختلاف العلماء في حكم الساحر، وذلك بحسب اعتقادهم في حكم السحر ، فمن قال: إن السحر كفر كان الساحر عنده كافراً. ومن قال: إن السحر ليس كفراً لم يكفر بالساحر.

والإمام ابن حزم ممن يرى أَنَّ السَّحَرَ لَيْسَ كُفْراً، وعليه فهو يرى أنه لا يَحِلُّ قَتْلُ الساحر (٣)، لأنَّه: " ما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا قط إلا في إحدى ثلاث خصال رجل قتل بجريرة نفسه فقتل، أو رجل زنى بعد إحسان، أو رجل حارب الله ورسوله وارتد عن الإسلام " (٤). وغير ذلك من

^١ سورة الشعراء الآية ٢٢١ ، ٢٢٢ .

^٢ ابن تيمية : النبوات، ج ٢ ، ٧٠٤.

^٣ ابن حزم : المحلى ج ١١ ، ص ٤٠٠ .

^٤ (البخاري) محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، كتاب، باب، ج ١، ص ٢٥٢٩، ٢٥٢٨، (٦٥٠٣).

الأحاديث الدالة على أنه لا يحلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِخْدَى ثَلَاثٍ: كُفْرٌ بَعْدَ إِيْمَانٍ، وَزَنَى بَعْدَ إِحْصَانٍ، وَنَفْسٌ بِنَفْسٍ (١) .

وبما أن السَّاحِرَ لَيْسَ من هؤلاء الثَّلاث ، فقد صَحَّ تَحْرِيمُ دَمِهِ عند ابن حزم "بِيقِينٍ لَا إِشْكَالَ فِيهِ" (٢) كما صرح بذلك في كتابه المحلى ، ففصل في هذه المسألة وبالغ في الرد، والحق أن الصواب بخلاف ما قال ، إذ أن من السحر ما هو كفر كما مر علينا، وما كان كذلك ففاعله كافر .

والدليل على كفر الساحر قوله تعالى: { وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ } (٣) .

ولذلك فإن من بلغ سحره الكفر كمن يأتي بكلام يعظم فيه غير الله تعالى، فالراجح قتله حداً كما هو مذهب الإمام الشافعي، وأما عند أبي حنيفة ومالك وأحمد وجماعة من الصحابة فحد الساحر هو القتل، لورود نص صريح في قتله؛ ولأن عمر أمر بقتل كل ساحر وساحرة ولم ينكر عليه أحد من الصحابة، فكان ذلك إجماعاً، ولأن حفصة رضي الله عنها قتلت جارياتها عندما سحرتهما، ودل ذلك على أن حد الساحر القتل، إذ هي أعلم بالحكم لصلتها بالنبي صلى الله عليه وسلم. والله أعلم (٤) .

ويجاب على ابن حزم ومن وافقه أن قول النبي صلى الله عليه وسلم: " ما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا قط إلا في إحدى ثلاث خصال

١ ابن حزم : المحلى (ج ١١ ، ص ٦٨ ، ١٠٠ ، ٤٠٠)

٢ ابن حزم : المحلى ج ١١ ، ص ٤٠٠ .

٣ سورة البقرة الآية ١٠٢ .

٤ عبد الرحمن بن عبدالعزيز الداود : العقوبات في الإسلام، المكتبة السلفية ، جدة ، ١٣٩٢ هـ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

رجل قتل بجريرة نفسه فقتل، أو رجل زنى بعد إحصان، أو رجل حارب الله
ورسوله وارتد عن الإسلام " (١). هو عموم، مخصوص بالأحاديث الدالة
على قتل الساحر . والله أعلم (٢).

الفصل الثالث : عصمة الأنبياء والتفاضل بين الخلق لدى ابن حزم .

وفيه ثلاثة مباحث:

^١ سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

^٢ عبد الرحمن بن عبدالعزيز الداود : العقوبات في الإسلام، ص ١٨٥ .